

كتاب كريسي

مكتبة كلية التربية

الرجل الغريب



C.E. REN



كلية التربية
جامعة الإسكندرية

الرجل القائم

الطبعة الأولى

شباط - فبراير - ١٩٧٥

الطبعة الثانية

تموز - يوليو - ١٩٧٧

الطبعة الثالثة

أغسطس - ١٩٧٨

اغاتا كريستي

الرجل والفنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
ص.ب : ٣٨٧٤

**حقوق الطبع والنشر والاقتباس
محفوظة لدار الكتب الشعبية
بيروت - لبنان**

الفَصْلُ الْأُولُ

مسِرُّ كُوين

كان ذلك في عيد رأس السنة الميلادية .
وكان الأعضاء الكبار المدعوون الى حفلة عيد الميلاد مجتمعين في
القاعة الكبرى بمنزل روستان .
وكان المستر ساترويت سعيدا لانصراف الصغار الى مضاجعهم ، لانه
لم يكن يحب دعاباتهم الصبيانية في مثل هذه المناسبات .
انه رجل في الثانية والستين من عمره ، جاف العود محنى القامة
بعض الشيء ، ينم وجهه على الفضول الشديد ، والاهتمام البالغ بما
تنطوي عليه حياة الناس من اسرار . ويمكن القول انه عاش حياته كلها
وهو جالس في الصف الامامي يرقب ما يجري على مسرح الحياة ويشاهد
الطبائع البشرية وهي تكتشف امام عينيه . ولكن الان فقط بعد ان أصبح

في قبضة الشيخوخة ، وجد نفسه شديد الميل الى التخلص من موقف المشاهد ، ثم الاشتراك في مسرحية الحياة نفسها !

ولم يكن ثمة ادنى شك في انه متعمق بالواهب التي تمنحه الحق في هذه المشاركة ، فقد كان يدرك ، بالفريزة ، متى تتجمع العناصر التي تنبئ بوقوع حادث مثير من احداث الحياة . اي انه ، كحصان الحروب يشتم رائحتها . ومنذ وصوله الى منزل روستون في اصيل ذلك اليوم ، وهو يشم رائحة حادث مثير على وشك الوقوع .

ولم يكن عدد الذين دعوا الى الحفلة كبيرا ، وكان بينهم توم ايفشام صاحب البيت ، وهو رجل لطيف وودود ، وزوجته المهمة بالشؤون السياسية ، والتي كانت ، قبل زواجهما منه ، تدعى الليدي لوراكيين . وكان بينهم ايضا السير ويتشارد كونويي ، الجندي ، والرحلة ، والصياد البارع . هذا بالإضافة الى بعض الشبان والشابات الذين لم يتذكر المستر ساترويت اسماءهم وكذلك آل بورتال !

وكان المستر والمسن بورتال هما في الواقع موضع اهتمام المستر ساترويت . انه لم يكن قد رأى اليكس بورتال من قبل ، ولكنه كان يعرف عنه كل شيء . كان يعرف أباه وجده . وكان اليكس ، مثل اسلافه ، ذهبي الشعر ، أزرق العينين ، في نحو الأربعين من عمره ، مشغوفا بالرياضية والصيد ، واقعا في تفكيره وسلوكه . وعلى الجلة لم يكن فيه ما ينم على الشذوذ ، وإنما هو رجل انجليزي عادي متزن سليم التفكير . ولكن زوجته كانت تختلف عنه . فهي ، كما عرف المستر ساترويت ، استرالية الاصل وكان اليكس بورتال قد التقى بها هناك في استراليا أثناء رحلة له هناك ، فتبادلا الحب ، ثم عاد هو بها الى انجلترا . ولم تكن قد شاهدت انجلترا قبل زواجهما . ومع هذا فقد احسن المستر ساترويت ، بغيرته ، أنها ليست كالأستراليات اللاتي شاهدهن .

انه الان يرقبها خلسة ، وبدققة : امراة مثيرة للانتباه ، جدا . فهي ، رغم سكونها وصمتها ، تفيض بالحيوية العارمة . هذا هو السر ! وهي وان لم تكون رائعة الجمال ، الا انك لا تملك نفسك من الاحساس بجازبيتها وسحرها . ولكن السؤال المهم الذي ظل يلح على ذهن المستر ساترويت هو : « لماذا تصبح المسن بورتال شعرها ؟ »

لقد كانت الصيحة متنفسة بحيث لا يمكن ان يلحظها الا امراة مثلها او رجل رکز انتباهه عليها مثل مستر ساترويت ، وكان سر عجبه ان معظم

النساء ذات الشعر الاسود يصيغنه باللون الذهبي ، ولكنه لم ير في حياته امراة تصيغ شعرها الذهبي باللون الاسود ، كما تفعل المسر بورتال .

ان كل شيء في تلك السيدة كان يثيره ويفري فضوله . فقد خامر الشعور بانها اما ان تكون سعيدة جدا في حياتها ، او شقية جدا ، ولكنه لم يعرف على وجه اليقين أيهما اصح ! وقد احس بالضيق لهذا السبب ، واكثر من هذا شعر بان لها ثائرا عجيبا على زوجها .

وقال المستر ساترويت لنفسه :

« انه يقدسها ، ولكنه ، لسبب ما ، وهذا هو العجب ، يخشاها ..»
لقد كان الواضح للجميع ان اليكس بورتال ، زوجها ، يسرف في شرب الخمر ، ثم يختلس النظر اليها بطريقة مثيرة للانتباه والتساؤل .
واحس المستر ساترويت ، بغيرته ، ان الحدث المرتقب سيترک في هذين الزوجين ، اليكس بورتال وزوجته !
وافاق من تأملاته على قول صاحب البيت ، ايفشام ، بعد ان اعلنت الساعة منتصف الليل :

— لقد بدا الان عام جديد ، وارجو ان يكون عاما سعيدا للجميع .
وقالت زوجته الليدي لورا :

— ان بدء عام جديد يجعل الانسان احيانا يرتد بالذاكرة الى سنوات عمره السابقة ، والى اصدقائه الذين كان يشتراك معهم في انشيد عيد الميلاد .

وهنا تململ زوجها ايشام ، وقال :

— اوه .. كفى يا لورا .. ليس هذا الوقت مناسبا !
ثم مضى الى لوحة مفاتيح المصابيع الكهربائية ، واضاء مصباحا آخر ، بينما قال زوجته الليدي لورا في لهجة اعتذار :
— اوه .. ما اشد غبائي .. لا شك اني ذكرته بصديقه الحميم المستر كابسل .

وقالت اليانور بورتال بصوتها العلب الذي جعل المستر ساترويت يظن انه سمعه من قبل .. يوما ما :
— المستر كابل ؟!

— نعم .. انه الرجل الذي كان يمتلك هذا البيت من قبل .. لقد انتحر بان اطلق على نفسه الرصاص كما تعلمون ! اوه ! ابني لن اتحدث عنه اذ

ان زوجي العزيز يتالم من هذا الحديث . فلا شك انها كانت صدمة عنيفة له ، لانه كان هنا عندما انتحر صديقه المستر كابل . وقد كنت ايضا هنا يا سير ريتشارد ! اليس كذلك ؟

ـ نعم يا ليدي لورا .

وجمعت اليدي لورا ادوات التطريز بين يديها ، ثم قالت وهي تنظر الى مسر بورتال :

ـ لقد انتهى الاحتفال بعيد رأس السنة . فماذا نفعل الان ؟

فنهضت اليانور بورتال بسرعة ، وقالت في غير اهتمام :

ـ الى الفراش فورا .

وقال المستر ساترويت لنفسه ، وهو يوقد لها قنديلها :

ـ «انها تبدو شديدة الامتعاع ، ولم تكن كذلك عادة » .

وتناولت منه القنديل في صمت ، ومضت ببطء نحو السلم المؤدي الى الطابق الاعلى .

وفجأة احس المستر ساترويت برعدة تسري في كيانه ، وبالرغبة في المضي وراءها ليطمئنها . نعم فقد كان يشعر انها معرضة لخطر ما . ولكنه لم يلبث ان احس بالخجل من نفسه . فلا شك ان اعصابه الليلية ليست كما ينبغي . ولكنه رآها ، قبل ان تصعد تلفت وراءها ، وتلقى على زوجها نظرة طويلة مركزة ..

وقالت اليدي لورا وهي تصافح المستر ساترويت قبل ان تمضي :

ـ عيد ميلاد سعيد ، وارجو ان يكون اول رجل يدخل بيتنا الليلة او غدا ، اسمر اللون ، اسود الشعر . فانت تعرف هذه الغرافة يا مستر ساترويت ، عجبا !! الا تعرفها ؟ انه يقال ان الرجل الاسمر الذي يكون اول داشر الى البيت في عيد رأس السنة يجلب معه الحظ السعيد لاصحاب البيت .

وبعد اصراف السيدتين ، تقارب الرجال الاربعة حول نار المدفأة ، وراحوا يتداولون الحديث في شتى الموضوعات حتى طرقوا الحديث من صاحب البيت الاسبق ، المنتحر ، فقال السير ريتشارد كونوي :

ـ كنت تعرف ديريك كابل يا مستر ساترويت ، اليس كذلك ؟!

ـ نعم . قليلا .

ـ وانت يا بورتال ؟

ـ لا ، لم اره قط .

وقد قالها أليكس بورتال بعنف جمل المستر ساترويت يلتفت اليه فجأة مندهشاً .

وقال إيفشام بيضاء :

ـ ابني اكره دائمًا ان تشير زوجتي لوزا الى هذا الموضوع . فان هذا البيت ، بعد الحادث ، بيع لرجل أعمال ثري ، ولكنه بعد عام بدا يعلن عن بيعه بشمن مخضض ، وكثرت الشائعات عن وجود شبح فيه .. شبح صاحبه المنتحر . ولما دفعتني لورا لترشيح نفسي عن دائرة كيديلبي ، اضطررنا للبحث عن منزل مناسب للإقامة في هذه المنطقة ، واغراني ثمن هذا المنزل المنخفض ، فاشتريته ، وسواء صدقت الشائعات عن وجود الشبح فيه ام لم يصدق ، فان الانسان لا يحب ان يتذكر دائمًا انه يقيم في منزل انتحر فيه صديق سابق له . مسكن ديريك كابل . اتنا لن نعرف ابدا لماذا قتل نفسه !

فقال أليكس بورتال بصوت مثقل بالخمر :

ـ انه ليس اول ولا آخر رجل ينتحر بلا سبب معقول .

وقال المستر ساترويت لنفسه ، وهو يتأمل وجه أليكس بورتال : « ان هذا الرجل ليس في حالي الطبيعية .. مطلقا !! لشد ما اتمنى لو اعرف ماذا يهرره ! »

وقال ريتشارد كونوي :

ـ يا الهي . انصتوا الى عويل الرياح ! انها ليلة عاصفة !

وقال بورتال في ضحكة مستهترة :

ـ ليلة تصلح لان تكون مرتعا للأشباح . يبدو ان جميع شياطين الجحيم قد خرجت تعربد هذه الليلة .

وهنا ضحك السير ريتشارد كونوي ، وقال :

ـ بناء على اقوال لورا ، فان اشد هذه الشياطين سوادا سوف يجلب لنا الحظ لو دخل الان .. آه .. ما هذا !

وكان صفير الرياح قد ارتفع الى طبقة الصراخ ، ثم بدا يتلاشى رويدا رويدا عندما سمع الجميع ثلاث طرقات عالية على باب المنزل الخشبي الفخم .

وقال توم إيفشام في دهشة :

ـ ترى من يكون الطارق ، بحق الشيطان ، الان ؟!

وبعد ان حملق كل منهم في وجه الاخر ، اردد هو قائلاً :

- لسوف افتح الباب بنفسى . فان الخدم الان ن iam .
واندفعت الرياح الباردة الى الداخل عندما فتح الباب ، ورأى امامه
رجلًا طويلاً نحيل الجسم ، ملوح البشرة ، يرتدي ملابس قيادة السيارات،
وتقدم هذا الرجل الى الداخل ، وهو يقول مبتسما في لهجة اعتذار :
- معلنة ايها السادة ، فان سيارتي تعطلت فجأة ، وقد تركت سائقها
يحاول اصلاح الخلل بها . وربما استغرق هذا الامر ساعة او اكثر ، والجو
في الخارج قارس البرد ، ومن ثم رأيت ان ..

توقف عن الكلام فجأة ، فقال ايفشام متتمما حديثه :

- نعم . نعم . تفضل بالدخول واشرب معنا كأسا . اخشى الا
نستطيع ان نقدم لك اية مساعدة لاصلاح السيارة .
- حسنا . ان السائق يجيد اصلاح السيارات بوجه عام .. واسمي ،
بهذه المناسبة ، كوين .. هارلي كوين .
- اجلس يا مسieur كوين .. اقدم لك السير ريتشارد كونوي ،
والمسير اليكس ورثال ، والمسير ساتروبيت ، وانا توم ايفشام .
وبتبادل المسير كوين التحية مع كل منهم ، ثم جلس بالقرب من
المدافء ، وبعد ان تقبل الكأس المقدمة اليه من توم ايفشام شاكرا ابتدءه
فألا :

- اذن فانت يا مسieur كوين تعرف هذه النواحي جيدا !
- مررت بها منذ بضعة اعوام خلت . وكان هذا المنزل ملكا لرجل
اسمه المسير كابل .
- اووه . نعم . ديريك كابل المسكين . اكنت تعرفه ؟ .
- نعم ، كنت اعرفه .

وتفجر موقف ايفشام من الرجل الغريب في الحال . فبعد ان كان
متحفظا ، كعادة الانجليز ، معه . اذا به يلقى التحفظ جانبا ، بعد ان عرف
ان هذا الغريب كان صديقا لصديق الراحل ديريك كابل ، ومن ثم قال :
- هذا عجيب . لقد كان تتحدث عنه الان ! وقد كنت في هذا البيت
عندما قتل نفسه وكذلك كان ريتشارد كونوي . ورغم اني لا اؤمن
بالاشباح ، فاني اتوقع بين لحظة وخرى ان ارى شبحه يقترب علينا
هذه القاعة .

- الواقع ان ذلك الحادث كان مفاجئا ، ولا تفسير له على الاطلاق .
فهتف ريتشارد كونوي في حماس :

- انه سر غامض عجيب . فقد كان ديريك كابل في اوج الحياة ، سعيدا ، لا يشغله هم من هموم الحياة . وكان قد دعا خمسة او ستة من الاصدقاء الى ضيافته ، وكان اثناء وجبة المشاه في احسن حالاته النفسية والمعنوية ، لا يكاد يكف عن الغوص في الحديث عن مشروعياته المستقبلة . لكن ما كاد ينتهي المشاه ، حتى صعد فورا الى غرفته بالطابق الاعلى وتناول مسديسه ، ثم قتل به نفسه . لماذا ؟ لا احد يعرف ، ولن يستطيع احد ان يعرف ابدا .

فقال المستر كوين باسمها :

الا ترى ان الانسان لا يستطيع ان يتتأكد من هذه الحقيقة يا سير ريتشارد ؟

- ماذا تعني ؟

- ليس من الضروري ان يكون اللغو مستعصيا على الحل لأن احدا لم يستطع ان يحله !

- اووه . اذا لم يستطع احد ان يحل هذا اللغز في حينه ، فهل يعقل ان يتمكن من حله بعد عشر سنوات من وقوع هذا الحادث ؟ وهز المستر كوين رأسه برفق ، وقال :

- انتي لا اتفق معك في هذا . فان مرور الزمن في كثير من الاحيان يجعل المؤرخ اقدر على فهم الاحداث وادراك اسبابها ومبرباتها . والهم هو ان ننظر الى المشكلة نظرة شاملة ، نظرة تحيط بكل جوانبها ، و ..

وهنا صاح بورتال قائلا :

- انت على حق يا مستر كوين ! ان الزمن لا يحمل المشكلة ، وإنما يجعل الانسان ينظر اليها من زاوية مختلفة ، او جديدة .

وابتسم ايفشام ، ثم قال :

- هل تعني يا مستر كوين اننا ، مثلا ، لو عقدنا من الفسنا لجنة تحقيق الليلة ، وتناولنا ، بالبحث ، الظروف والملابسات التي احاطت بمقتل ديريك كابل ، فهل تعتقد اننا قد نعرف الحقيقة كما لو كنا قد بحثنا الامر عند وقوع الحادث ؟

- بل الاحتمال الان اقوى يا مستر ايفشام ، لأن التزعمات الشخصية لن يكون لها وجود ، ولأننا سننظر الى الحقائق على أنها حقائق فقط دون ان ننحرف بأفكارنا ومشاعرنا ونزاعاتنا الخاصة .

وبالا لاح الشك على وجه المستر ايفشام ، استطرد المستر كوين

فائلاء :

- وعلى الانسان في هذه الحالة ان يبحث عن النقطة التي يبدأ منها . ونقطة البدء تقوم عادة على نظرية ما . ولا شك ان لكل منكم رأيه او نظريته الخاصة عن هذا الحادث . فما رأيك انت ، مثلا ، يا سير ريتشارد ؟

فقطب ريتشارد كونوي ما بين حاجبيه منكرا ، ثم قال : - آه ! نعم طبعا ، لقد ظننا بطبيعة الحال ان في الامر امرأة ، او ازمة مالية ، والثابت ان حالة كابل المالية كانت ممتازة ، اذن فماذا يمكن ان يكون السبب غير المرأة ؟ وجفل المستر ساترويت قليلا في تلك اللحظة ، وكان قد انحنى الى الامام ليدللي بمحلاحة بسيطة ، ولكنه فوجيء حين لمح جسم امرأة منكمشة على نفسها في ركن الشرفة العليا بحيث لم يكن احد يراها الا من حيث يجلس هو ، وكان وضعها ينم بوضوح على انها كانت ترهف اذنيها تسترق السمع الى كل ما يقال .

وعرفها بسهولة عن طريق توبتها .. انها اليانور بورتال .

ووجاهة بدا كل شيء واضحا امامه . فان وصول المستر كوين في تلك اللحظة لم يكن مجرد صادفة ، وإنما اقرب ما يكون الى ظهور المثل على المسرح عندما يأتي دوره . وان هذه القاعة ، في تلك الليلة ، لتبدو في نظر المستر ساترويت كمسرح تجري عليه احدى مسرحيات الحياة العنيفة ، وذلك رغم ان المثل الاول فيها ، رجل مات منتحرا منذ عشر سنوات . نعم . ان ساترويت واثق تماما بأن لدبريك كابل دورا رئيسيا في احداث هذه المسرحية التي تجري امام عينيه .

ومرة اخرى ازدادت الحقائق وضوحا امام عينيه فجاة . ان هذا كله من صنع المستر كوين . انه هو الذي اعد خشبة المسرح ، وهو الذي يوزع الادوار على الممثلين ، ويعيش في قلب المسرحية ، ويشد خيوطها غير المنظورة ، ويوجه الممثلين حسبما يريد ، ويعرف كل شيء ، حتى تلك المرأة المنكمشة على نفسها في الشرفة تسترق السمع .

ورأى المستر كوين ان يستطرد في تحريك الممثلين على مسرحه بقوله :

- نعم . ان في الامر امراة طبعا . ولا شك انكم تحدثتم اثناء العشاء عن المرأة ، او عن امرأة معينة !

فهتف ايفشام قائلاً :

ـ عجبا ! طبعا طبعا . لقد اعلن لنا اثناء المشاء عن انه يعتزم خطبة فتاة ، وهذا ما جعل انتشاره يزداد غموضا ، بل وجنونا . وكان سعيدا جدا ، وهو يلمح لنا عن الخطيبة الحسناء ، ويقول ان الخطبة سوف تعلن رسميا بعد فترة معينة من الوقت لاسباب خاصة .

وقال ريتشارد كوني :

ـ قد عرفنا بداهة ، من هي هذه الخطيبة المنتظرة ، انها كانت ماجوري ويلك ، فتاة لطيفة حسناء فعلا .

وهنا التفت المستر كوين الى ايفشام ، وقال متسائلا :

ـ اهذا هو رايک يا مستر ايفشام ؟

ـ اني لا ادرى على وجه اليقين . لقد اعلن لنا انه خطب فتاة جميلة ، وانه لاسباب خاصة لن يعلن الخطبة رسميا الا بعد فترة معينة ، وانه لا يستطيع ان يذكر لنا اسم الخطيبة الا بعد موافقتها . ولكن المهم انه وصف نفسه بأنه رجل محظوظ جدا ، وانه يريد ان يجعلنا ، كاصديقين له ، ندرك انه سيكون في العام التالي رجلا من اسعد الناس في حياته الزوجية ، وبطبيعة الحال افترضنا ان الخطيبة هي ماجوري . فقد كانت علاقته بها وطيدة .

وعندئذ قال ريتشارد كوني متربدا :

ـ ولكن العجيب في الامر ، انه اذا كانت الخطيبة هي ماجوري ويلك حقا ، فلماذا كان يخفي اسمها عننا ؟ ولماذا كان يوجّل اعلان الخطبة رسميا فترة من الوقت ؟ لقد بدا لي عندئذ ان خطيبته سيدة متزوجة ، ومات زوجها حديثا ، او طلقت منه .

فقال ايفشام :

ـ هذا اقرب الى النطق الصحيح . وما دام الامر هكذا ، فمن الطبيعي ان يتكم ديريك كابل اسم الخطيبة ولا يعلن الخطبة رسميا الا في الوقت المناسب . واذا اتيتم عدتم بالذاكرة الى ذلك العهد لتبيّنتم انه لم يكن يتقمي بمعارجوري كثيرا . واني لا تذكر الان ان العلاقة بينهما قد فترت كثيرا قبل وفاته بعام تقريبا .

فقال المستر كوين :

ـ هذا عجيب !

ـ نعم . لقد بدا كأنما دخلت في حياته امرأة أخرى .

فقال ريتشارد كونوي متاملًا :

— امرأة أخرى !

وهتف أيفشام :

— بحق السماء . لقد كان ديريك في تلك الليلة سعيداً إلى حد النشوة والترنج من فرط السعادة . كان يبدو كمن شرب كأس الماء المفسد ، فوق هذا كان يبدو أيضاً كالذى يتحدى الحياة والقدر . ورفع المستر ساترويت عينيه إلى أعلى . آه ! نعم . إن اليانسور بورتال لا تزال مكونة على نفسها تسترق السمع ، وكأنها ، في سكونها التام ، جثة هامدة .

وقال ريتشارد كونوي :

— هذا صحيح تماماً . لقد كانت عواطف ديريك مهتمة بالسعادة ، ويمكن القول أنه كان كالمقامر الذي لعب بكل ثروته ثم ربح رغم الاحتمال الضئيل في الربح .
وهنا قال بورتال :

— أو لعله كان يستمد شجاعته مما عقد العزم عليه !

فقال أيفشام بعنف :

— لا ، لا ، ليس الأمر كذلك ، ويمكنني أن أقسم أن شيئاً من هذا لم يخطر بي بالله . إن كونوي أقرب إلى الصواب . لقد كان ديريك يبدو كالمقامر الذي ربح بضريبة حظ أكثر مما كان يتوقع ، ولهذا فهو لا يكاد يصدق أنه ربح فعلاً .

وعندئذ هز كونوي كتفيه ، وقال :

— ومع ذلك فقد انتحر بمسدسه بعد عشر دقائق .
وخيّم الصمت على الجميع ، وفجأة ضرب أيفشام المائدة بقبضته يده ،
وقال هانفا :

— لا بد أن شيئاً ما قد حدث في هذه الدقائق العشر . لا بد . . .
ولكن ما الذي حدث ؟ فلنحاول أن نفكّر فيما حدث بامعان . لقد كنا جمِيعاً . . .
نتحدث ، وفي منتصف الحديث ، نهض كابل وصعد إلى غرفته .
— لماذا ؟

فقط أيفشام جبّينه مفكراً ، ثم قال :

— لم نهتم في ذلك الحين بالسبب ، أوه .. انه سامي البريد . الا
ذكر يا كونوي كيف انفعلنا عند سماعنا صلصلة الجرس ، وكنا في ذلك

الحين محبوسين في البيت بسبب انهمار الثلوج وترانكمها حوله لمدة ثلاثة ايام ؟ لقد حدثت في تلك الايام عاصفة ثلجية لم يحدث مثلها منذ اعوام وأعوام . وكانت الطرق كلها مغلقة بسبب تراكم الثلوج ، فلا رسائل تصلنا ، ولا صحف او مجلات ، ولما صلصل الجرس ، ذهب ديريك كابل ليفتح الباب ، وما لبث ان عاد بكومة من الرسائل والصحف . وفتش احدى الصحف ليرى هل وقعت احداث مشيرة ، ثم صعد بالرسائل الى غرفته ، وبعد ثلاث دقائق سمعنا الطلاق الناري ! شيء لا يمكن تفسيره ابدا .

فقال بورتال :

- بل من الممكن تفسيره . فلعل كابل قرأتها لم يكن يتوقعه في احدى الرسائل .

فقال كونوي :

- انتظن انتا لم نفكر في هذا الاحتمال ؟ لقد كان هذا اول سؤال القاه المحقق علينا . ولكن ثبت انه لم يفتح رسالة واحدة ، فقد ظلت زمرة الرسائل بكاملها على مائدة الخزينة دون ان يفتح منها واحدة .

فقال بورتال متربدا :

- هل انتم واثقون تماما انه لم يقرأ رسالة منها ثم دمرها او تخلاص منها بعد ذلك ؟

- هذا احتمال لم نغفل عنه ايضا ، ولكننا لم نر في غرفته او في المدفأة او في اي مكان بالبيت بقايا رسالة ممزقة او محترقة .

- هذا عجيب . عجيب جدا .

وقال ايفشام بصوت خفيض :

- ان العادث في جملته كان رهيبا ، مفاجئا ، لا معنى له . ولشد ما كانت صدمتنا حين صعدت انا وكونوي اليه بعد ان سمعنا الطلاقة النارية ، ووجدناه جثة هامدة .

فقال المستر كوين :

- ولم يكن في وسع احدكم ان يفعل شيئا غير الاتصال تليفونيا بمركز البوليس .

- لم يكن بالمنزل تليفون في ذلك الحين . ولكن حدث ، لحسن الحظ ان كونستابل المنطقة كان في المطبخ عندئذ . اتذكر يا كونوي ؟ لقد ضل احد الكلاب ديريك كابل ، طريقه في الثلوج ، في اليوم السابق ، انه كلب

العجز روفر ، وعثر عليه احد الرجال ونصفه مدفون في الجليد ، فحمله الى مركز البوليس حيث تعرف عليه الكونستابل وعرف انه احد كلام المستر كابل الانيرة لديه ، فحمله في اليوم التالي الى البيت . وكان وصول الكونستابل بعد صعود كابل الى غرفته بدقيقتين تقريبا ، لانني اذكر اننا سمعنا الطلاق الناري بمجرد دخوله الى المطبخ ليصنع لنفسه قدح شاي .
يا لله ! لقد انقذ وجود هذا الكونستابل موقفنا من المحرج الشديد .

وقال كونوي مررتا بذاكرته الى تلك الايام :
ـ يا للهول ! ما افظع تلك العاصفة الثلجية التي كانت تهب يومذاك اعتقاد اننا كنا في اوائل شهر يناير .

ـ لا .. كنا في شهر فبراير ، لاننا قمنا برحلة الى خارج البلاد بعد الحادث بوقت قصير .

انني وافق ان الوقت كان في شهر يناير ، لان العجوز « نيد » حارس الصيد في مزرعتي - اتذكر نيد ؟ ، اصيب في ساقه ، وكان ذلك في اواخر شهر يناير ، بعد الحادث ب ايام عديدة .

ـ اذن لا بد ان ما حدث كان في اواخر شهر يناير . حقا ما اصعب ان يذكر الانسان التاريخ الصحيح مثل هذه الاحاديث بعد مرور سنوات عدة .

وهنا قال المستر كوبين :

ـ ان هذا من اصعب الاشياء على الذاكرة فعلا . ولكن الانسان قد يتذكر في دقة حادثنا معينا في حياته اذا كان حدوثه في الناء وقوع حادث عام مشير ، مثل مقتل ملك او نظر قضية كبيرة .
فصاحب كونوي :

ـ نعم . نعم . ما اعجب هذا . لقد وقع الحادث قبل قضية ابلتون مباشرة .

ـ تعني بعدها مباشرة ؟

ـ لا لا . الا تذكر ؟ لقد كان ديريك كابل يعرف آل ابلتون . كان قد امضى الربيع الاسبق مع العجوز ابلتون ، اي قبل موته باسبوع . والواقع ان ذلك العجوز ابلتون كان رجلا بغياضا ، ولا شك ان زوجته الشابة الحسناء عانت الكثير في حياتها معه . ولم يكن ثمة ما يدفع الى الريبة يومذاك في انها هي التي دست السم له .
فقال ايفشام :

- آه ! نعم . بحق السماء . اني اتذكر الان اني قرأت فقرة في الصحيفة التي احضرها سامي البريد مع رسائل ديريك كابل ، جاء فيها ان امرا صدر باستخراج جثة العجوز ابلتون لتشريحها ومعرفة سبب الوفاة . لقد قرأت هذا النبا بغير اهتمام لاني كنت اذكر وقتي في جثة صديقي ديريك الهامدة ، الملاقاة في غرفته بالطابق الاعلى .

فقال المستر كوين :

- هذه ظاهرة فكرية عجيبة رغم شيوعها ، فان التفكير في ساعة الازمات كثيرا ما يتركز في اشياء تافهة نظر عالقة بذهن الانسان سنوات عديدة . ويبدو أنها تنبع في الذهن بسبب حالة الانفعال الشديد الذي يعانيه الانسان في ساعة الازمة .

فقال كونوي :

- صدقت يا مستر كوين ، فقد احسست فجأة ، وانت تتحدث الان ، اني انتقلت الى غرفة ديريك كابل ، حيث كان ملقى على الارض جثة هامدة ، وقد رأيت بوضوح الشجرة الكبيرة القائمة امام النافذة ، وظللتها على الثلوج من تحتها .

- نعم ، كل شيء يتراهى لي الان خارج النافذة واضحًا في ضوء القمر .. الشجرة ، والطلال ، والارض المكسوة بالجليد ، عجبيا .. اني اكاد ارى كل شيء امامي الان .. اني استطيع ان ارسمها بدقة . ومع ذلك فلم اكن ادرى حينذاك اني تعمدت النظر الى هذا كله .

فقال المستر كوين :

- كانت غرفته هي القائمة فوق الشرفة السفلية الكبيرة ، اليس كذلك ؟

- نعم . وكانت الشجرة - شجرة زان كبيرة - قائمة في منعطف الممر المؤدي الى البيت .

وأومأ كوين برأسه . وازداد انفعال المستر ساترويت وهو يدرك ان كل كلمة وكل نبرة في صوت المستر كوين تحمل في طياتها معنى معينا . لقد كان يهدف الى شيء ما . ولكن المستر ساترويت لم يكن يعرف على وجه اليقين ، ما هو ذلك الشيء .

وبعد لحظة ساد فيها الصمت ، عاد ايفشام الى الحديث عن الموضوع السابق :

- اني اتذكر قضية ابلتون الان . ما اشد الضجة الاجتماعية التي

آثارتها يومذاك ، ولكن المسر أبلتون الحسناء نجت بجلدها من جبل المشنقة ، اليـس كذلك ؟ لقد كانت جميلة ، شقراء ذهبية الشعر الى حد يجبر الانسان على التطلع لفانتها .

وخيـل الى المستر ساترويت انه رأى المرأة التي تسترق السمع في الشرفة العليا تزداد اتكاماـ على نفسها ، ولكنه فوجـئ بصوت كأس يتحطم على الارض ، فالتفت ليـرى اليـكس بورـتال يقول في اضطراب واعـتـارـ :

ـ اـنـي آـسـفـ . لـقـدـ وـقـعـتـ الكـأـسـ مـنـ يـدـيـ ، وـلـاـ اـدـرـيـ مـاـذـاـ دـهـانـيـ .

فـقـالـ اـيـفـشـامـ لـيـهـدـيـءـ مـنـ رـوـعـهـ :

ـ لـاـ عـلـيـكـ يـاـ صـدـيقـيـ العـرـيـزـ . هـذـاـ عـجـيـبـ ، انـ تـحـطـمـ هـذـهـ الكـأـسـ يـذـكـرـنـيـ بـشـيـءـ مـاـ فـيـ قـضـيـةـ اـبـلـتـونـ . آـهـ .. لـقـدـ حـطـمـتـ المـسـرـ اـبـلـتـونـ قـيـنـيـةـ حـفـظـ الشـرـابـ الـتـيـ تـعـودـ زـوـجـهاـ اـنـ يـشـرـبـ مـنـهـ كـأـسـ كـلـ لـيـلـةـ .

ـ نـعـمـ . نـعـمـ . لـقـدـ شـاهـدـهـاـ اـحـدـ الخـدـمـ تـاخـذـ القـيـنـيـةـ – بـعـدـ وـفـاةـ زـوـجـهاـ بـيـومـ – وـتـحـطـمـهـاـ عـمـداـ . وـقـدـ اـتـارـ تـصـرـفـهـاـ هـذـاـ تـعـلـيـقـاتـ الخـدـمـ بـطـبـيـعـةـ الـحـالـ . فـقـدـ كـانـواـ جـمـيـعـاـ يـعـلـمـوـنـ اـنـهـ شـقـيـقـةـ فـيـ حـيـاتـهـاـ مـعـ زـوـجـهاـ . وـاـزـدـادـتـ الـاقـاوـيـلـ ، وـاـنـتـشـرـتـ الشـائـعـاتـ ، وـاـخـيـراـ ، بـعـدـ شـهـرـ مـنـ الـوفـاةـ ، قـدـمـ بـعـضـ اـقـارـبـ الـتـوـفـيـ طـلـبـاـ لـاستـخـرـاجـ الجـنـةـ وـتـشـرـيـحـهـاـ . وـكـانـتـ المـلـاجـأـ الـكـبـرـىـ اـنـ التـشـرـيـحـ اـبـتـ اـنـ وـفـاةـ الـزـوـجـ الـعـجـوزـ بـسـمـ الـرـزـينـيـ .

ـ لـاـ .. بـلـ بـالـاسـتـرـكـيـنـ ، عـلـىـ ماـ اـذـكـرـ . وـلـكـ لـيـسـ هـذـاـ مـهـماـ ، وـاـنـهـ الـمـهـمـ اـنـهـ مـاتـ مـسـمـيـاـ ، وـاـنـ الـاـتـهـامـ تـرـكـرـ فـيـ شـخـصـ وـاحـدـ ، هـوـ زـوـجـتـهـ الشـابـةـ الحـسـنـاءـ . وـقـدـمـتـ اـلـىـ الـمـحاـكـمـةـ ، وـلـكـ اـطـلـقـ سـرـاحـهـاـ لـعـدـمـ كـفـائـيـةـ الـادـلـةـ لـثـبـوتـ بـرـاءـتـهـاـ . وـالـوـاقـعـ اـنـ الـحـظـ كـانـ مـعـهـاـ ، فـاـنـاـ لـاـ اـشـكـ فـيـ اـنـهـ هـيـ الـفـاعـلـةـ . وـلـاـ اـدـرـيـ مـاـذـاـ حـدـثـ بـعـدـ ذـلـكـ .

ـ رـحـلتـ اـلـىـ كـنـداـ عـلـىـ مـاـ اـظـنـ ، اوـ اـلـىـ اـسـتـرـالـياـ فـقـدـ كـانـ لـهـاـ عـمـ فيـ مـكـانـ مـاـ وـرـاءـ الـبـحـارـ عـرـضـ عـلـيـهـاـ الـاتـجـاهـ اـلـيـهـ . وـخـيـرـاـ فـعـلـتـ .

ـ وـلـاحـظـ المـسـتـرـ سـاتـرـوـيـتـ كـيـفـ كـانـ المـسـتـرـ بـورـتـالـ يـقـبـضـ عـلـىـ كـأـسـهـ بـعـنـفـ حـتـىـ لـتوـشـكـ اـنـ تـحـطـمـ بـيـنـ اـصـابـعـهـ . اـمـاـ اـيـفـشـامـ فـقـدـ قـالـ وـهـوـ يـمـلاـ كـأـسـهـ :

ـ حـسـنـاـ .. اـنـاـ لـمـ نـعـرـفـ بـعـدـ مـاـذـاـ اـنـتـحـرـ المـسـكـيـنـ دـيرـيـكـ كـابـلـ . اـنـ التـحـقـيقـ فـيـ سـبـبـ اـنـتـحـارـهـ لـمـ يـسـفـرـ عـنـ شـيـءـ .

ـ اليـسـ كـذـلـكـ يـاـ مـسـتـرـ

كوبن ؟

وهنا ارسل المستر كوبن ضحكة عجيبة ساخرة اثارت دهشة الجميع ، تم قال :

ـ معدنة ايها السادة ، انكم لا تزالون تعيشون في الماضي بنفس مشاعركم ونظرانكم ونزعاتكم بالنسبة لحادث المسكن ديريك كابل . اماانا ، الفريب : فاني انظر الى الحفائق المتسلسلة ، نظرة خالية من العواطف الشخصية .

قال ايفشام :

ـ ماذا تعني يا مستر كوبن ؟!

ـ هلم نرجع بافكارنا الى سنوات عشر لترى ماذا حدث من وجهة النظر المحايدة .

ثم نهض بقامته الطويلة ، ووقف وظهره الى المدفأة ، وقال بصوت هادئ كأستاذ محاضر :

ـ كنتم تتناولون العشاء ، واعلن ديريك عن خطبته ، وظننتم انه يقصد مارجوري ويلك ، ولكنكم الان غير واثقين بأنها هي الخطيبة التي كان يعنيها ؛ وكان هو في حالة ابهاج شديد ، كرجل استطاع ان ينجح ويتحدى القدر . نم صلصل الجرس ، واستسلم البريد الذي تأخر ثلاثة ايام يسبب العاصفة الجليدية . وقد ثبت انه لم يفتح خطابا ، ولكنكم ذكرتم انه فتح احدى الصحف ليقرأ اخر الانباء . وقد مضى على تلك المشاهدات عشر سنوات ، ولعله قرأ يومذاك عن ازمة سياسية ، او زلزال في مكان بعيد ، فاننا لا ندري ، ولكن النهاية ورد في الصحيفة يقينا ، هو صدور الامر الرسمي باستخراج جثة المستر أبلتون لتشريحها ومعرفة سبب الوفاة .

ـ ماذا ؟!

واسترطرد المستر كوبن في حديثه قائلا :

ـ وصعد ديريك كابل بعد هذا مباشرة الى غرفته ، ومن هناك رأى شيئا من النافذة ، فقد ذكر لنا السير ريتشارد كونوي الان ان الستائر لم تكن مسدلة ، وانه رأى ، عند صعوده الى الغرفة بعد الحادث ، الشجرة والمر وضوء القمر على الجليد ، فماذا رأي ديريك في تلك اللحظة مما جعله يلتجأ الى الانتحار مرغما ؟

ـ ماذا تعني ؟ ماذا عساه قد رأى ؟

— اعتقد انه رأى كونستابللا .. الكونستابل الذي جاء يحمل الكلب الضال ، ولكن ديريك كابل لم يكن يعرف هذه الحقيقة ، وانما ظن ان الكونستابل اتى لفرض آخر .

وصمت المستر كوين برهة حتى يجعل معاني كلماته تترسب في نفوس المستمعين ، وفجأة هتف ايفشام قائلاً :

— يا الهي ! انك لا تعني هذا ؟ لا تعني انه قاتل العجوز ايلتون ! لقد مات الرجل بعد انصراف ديريك من ضيافته باسبوع . وكان العجوز يقيم مع زوجته فقط عندما حدثت الوفاة .

— ولكنه كان هناك قبل الوفاة باسبوع ، وكان في مقدوره ان يضيع الاستركنين في قنينة حفظ الشراب ، والاستركنين ، كما نعرف جميعاً ، لا يذوب بسهولة في الكحول ، ومن ثم يتربس في قاع القنينة ، وتحدث الوفاة به عندما يشرب الانسان الكأس الاخيرة او قبل الاخيرة . فإذا كان من عادته ان يشرب في كل يوم كأساً واحدة ، فان قنينة حفظ الشراب لا تفرغ الا بعد عشرة ايام او أكثر عادة .

وهنا وثب المستر بورتال وقال بعنف :

— ولكن لماذا ؟ لماذا حطمت هي القنينة عمداً ؟ لماذا ؟ اخبروني لماذا ؟
ولأول مرة اتجه المستر كوين بالحديث الى المستر ساترويت ،
وقال له :

— انك واسع الخبرة بالحياة يا مستر ساترويت ، ولعلك تستطيع ان تخبرنا لماذا ؟

وتهجد صوت المستر ساترويت وهو يدرك ان عليه ، الان ، ان يلعب دوره على مسرحية الحياة هذه بعد ان ظل في مقاعد المُتفرجين ، وقد قال في تواضع :

— اعتقد انها كانت تحب ديريك كابل ، وكانت في الوقت نفسه سيدة شريفة مخلصة لزوجها ، فطلبت من ديريك ان يرحل من البيت قبل ان تتمادي في حبه . ولما مات زوجها ، خامرها الشك في ديريك ، وظننت انه هو الذي وضع سمه الاستركنين في قنينة حفظ الشراب ، فبادرت الى تحطيمها حتى تنقذه من المحاكمة . واعتقد انه اقنعها فيما بعد ، بأنه لا اساس لشكوكها ، فقبلت الرواج به ، ولكنها طلبت منه ان يمهد لها فترة من الوقت . فان النساء عادة غرائز حادة مرهفة .

وفرغ المستر ساترويت من اداء دوره .

وسرت في الجو هممة زفرة طويلة جعلت ايفشام يقول مدهشاً :
ـ يا الهي . ما هذا ؟

وكان في استطاعة ساترويت ان يقول له انها اليانور بورتال المختبأة في الشرفة العليا . ولكنه أثر الا يفسد ذلك الجو المفعم بالاشارة والتسويق .

وابتسم المستر كوبن قائلاً :

ـ اعتقد ان السائق قد اصلاح الخل في سيارتي الان . واني اشكر لك حسن ضيافتك لي يا مستر ايفشام ، ولعلي اديت خدمة لصديقك .
وبينما كان الجميع يحدقون النظر اليه في دهشة ، استطرد هو يقول :

ـ ان هذا الجانب من الموضوع لم يخطر ببالكم ، لفدي احسب تلك السيدة الشابة الحسنانة مسر ابلتون . احبها الى حد الاندفاع في ارتكاب جريمة قتل . ولما ادرك ان الامر قد انكشف ، قتل نفسه ، تاركا الحبيبة تواجه الموقف المصيب بمفردها .

فقال ايفشام :

ـ ولكن التهمة لم تثبت عليها .

ـ نعم . وذلك لضعف الادلة . ولعلها حتى الان لا تزال تواجه هذا الموقف المصيب .

وتهاك اليكس بورتال في مقعده ، وظهر وجهه بين يديه .

واستدار المستر كوبن الى ساترويت ، وقال :

ـ طاب يومك يا مستر ساترويت ، لا شك انك مهتم بهذه المسرحية الواقعية ، اليك كذلك ؟

واوما المستر ساترويت برأسه ، مدهشاً .

وبعد ان حيا كوبن الجميع ، استدار ومضى فجأة ، كما اقبل عليهم فجأة .

وصعد المستر ساترويت الى غرفته بالطابق الاعلى ، وفيما هو يسلل السناائر على النافذة ، لمح المستر كوبن وهو يمضي في الممر الى سيارته .
وفجأة فتح باب جنبي من المنزل ، وخرجت منه امراة تجري ، فلما لحقت بالمستر كوبن ، تبادلت معه كلمات قليلة ، ثم عادت الى المنزل .
وفيما هي تقترب من نافذة المستر ساترويت ، فوجيء بالثقب في الهائل الذي طرأ على وجهها ، فبعد ان كان شاحباً جاماً ، اذا به وجه جديد ..

وجه مفعم بالحيوية وحب الحياة ، وجه امرأة سعيدة كانها في حلم
بهيج .
ـ اليانور ؟

وانضم اليكس بورتال ، زوجها ، إليها وهو يردد قائلاً :
ـ اليانور ؟ أغفرني لي ، واصفحني عنـي . لقد كنت صادقة في
حديثك معي عن هذه المأساة ، ولكنني لم استطع تصديقك .. هل يمكن
أن تغفرني لي .

ولما كان المستر ساترويت رجلاً مهذباً لا يحب استراق السمع ، رغم
اهتمامه باسرار الناس ، فقد رأى أن يطلق النافذة . ولكنه أغلقها ببطء ،
وقد استطاع أن يسمع – قبل أن يتم إغلاقها – اليانور ، وهي تقول :
ـ أنا أعرف .. أنا أعرف . لقد كنت تعيش معي يا اليكس في
جحيم . وقد عانيت هذا الشعور بنفسي ذات مرة . فقد أحببت ديريك
كابل ، ولما تسكّت في أنه قاتل زوجي السابق أبلتون ، عشت في جحيم
من التشک والحب . ولا تشك أن هذا شعورك معي وانت تظن انتي القاتلة .
لقد ظل الحب والشك في نفسك يتصارعان طوال هذه السنين ، وكنت
انا ايضاً اعيش معك في جحيم ، لأنني كنت ادرك انك رغم حبك لي ،
تخشاني ، ونخشي ان اقتلوك يوماً ، كما ظنت اني قتلت زوجي السابق .
واخيراً جاء هذا الرجل الغريب ، الذي ظهر واخفى كالشبيح ، فوضّع
الامور في نصابها ، وانقلنا ، انت وانا ، مما نعانيه ، بل وانقلنا انا من
الموت . نعم . فقد كنت انوى اللبلة ، بعد ان عيل صبرى ، ان انتحر !
اليكس ، اليكس !

الفصل الثاني

شبح النافذة

قالت الليدي سينثيا للمستر ساترويت وهي تقرأ بصوت مسموع
النبا التالي في احدى الصحف اليومية :

« يقيم المستر والمسر انكرتون في بيتهما جرينواي هاوس حفلة في
نهاية هذا الاسبوع ، وسيكون من بين المدعوين : الليدي سينثيا دريج ،
المستر ريتشارد سكوت وزوجته ، والميجور بورتر ، والمسر ستافرتون ،
والكاتب الينسون ، والمستر ساترويت » .

ثم اردفت قائلة ، وهي تطرح الصحيفة جانبا :

ـ من الخير ان يعرف الانسان من هم المدعوون الذين سيكون بينهم
في حفلة ما .

وأومأ لها المستر ساترويت برأسه موافقا ، بينما استطردت
هي قائلة :

ـ مثلا ، هل تعرف المستر ريتشارد سكوت ؟!
ـ نعم . نعم . الياس هو صياد الوحش المشهور ؟

— انه هو ، صياد « النمور والسباع » كما تقول الافغنية ، وهو نفسه سبع كبير ، ولا شك ان آل انكرتون مسرورون بقبوله الدعوة ، ثم هناك عروسه الحسناء ، انها طفلة جدابة فاتنة لا يزيد عمرها عن عشرين عاماً ، بينما لا يقل هو عن الخامسة والأربعين من العمر . يا لها من مسكونة ! وكانت الليدي سينثيا نفسها سيدة في نحو الأربعين ، تصرف في وضع مساحيق الزينة على وجهها الجامد الصارم الذي نظر اليه ساترويت ، وهو يقول بدھشة :
— مسكونة ؟ لماذا ؟

فألفت الليدي عليه نظرة عتاب ، ولكنها استطردت تقول :
— اما الميجور بورتر ، فلا بأس به . انه إحدى صيادي الوحش في افريقيا ، ملوك الوجه ، هادئ ، قليل الكلام ، صديق حميم لريتشارد سكوت ، كما انه معجب به كل الاعجاب . وانا اعتقاد انه كان معه في تلك الرحلة .

— آية رحلة ؟
— الرحلة في داخل افريقيا التي اعدتها المزر ستافرتون . اخشى ان تقول انك لم تسمع ايضا عن المزر ستافرتون ؟
— بل سمعت عنها .

فغمزت الليدي بعينيها ، وقالت :
— ما كان ينبغي ان يجمع آل انكرتون في حلتهما بينها وبين ريتشارد سكوت بعد ان تزوج اخرا . فقد كانت المزر ستافرتون في تلك الرحلة الافريقية ولاكت الاسنة الاقوال عن علاقتها الفرامية بريتشارد . ولكن المهم هو كيف قبلت هذه المرأة دعوة آل انكرتون ؟

— لعلها لم تعرف ان ريتشارد وزوجته سيكونان بين المدعوين !
— انها تعرف ذلك تماما . واعتتقد أنها امراة خطيرة لا تتراجع عن هدف من اهدافها . ابني ارثي لريتشارد منذ الان .
— وزوجته ؟ هل تعرف شيئا عن علاقة زوجها السابقة بالمسر ستافرتون ؟

— لا .. ولكن تأكد ان بعض المدعوين سيتطوعون باخبارها عاجلا او آجلا . اه هذا هو جيمي اليسنون . يا له من شاب لطيف ، لقد كان لطيفا جدا معي اثناء زيارتي لمصر في الشتاء الماضي . ها جيمي ..
تعال هنا .

وأطاع الكابتن الينسون وجلس معها في الشرفة . وكان شاباً في الثلاثين من عمره ، وسيماً ، لطيفاً ، يتمتع بأسنان ناصعة البياض . وقد قال في مرح :

— يسرني أنني وجدت من يريدني ، فان المدعون جميعاً مشغولون في هذه اللعبة او تلك . وقد خشيت ان تهتم مضيفتي — المسن انكرتون — بأمرى ، ف تكون الطامة الكبرى .

فضحكت الليدي سينثيا بينما استطرد جيمي قائلاً :

— وأسوا من هذا خشيت ان تقض على المسن انكرتون قصة شبح الاسرة .

فصاحت الليدي سينثيا قائلة :

— شبح اسرة انكرتون ؟! يا ملهول !!

وهنا قال المستر ساترويت بهدوء :

— لا ، ليس شبح آل انكرتون . انه شبح آل جريناوي ، الذين كانوا يملكون هذا المنزل . لقد اشتري انكرتون هذا البيت والشبح معه .

— آه . ابني اذكر الان ! ولكن ليس شبحاً يفاجئ المقيمين في البيت بصليل سلاسله ، وإنما هو ، على ما اذكر ، شبح نافذة .

وقال الكابتن جيمي اليتسون في دهشة :

— نافذة !

ولم يجب المستر ساترويت عندئذ ، وإنما كان مشغولاً بالنظر إلى ثلاثة اشخاص متوجهين نحو المنزل : فتاة مشوقة القوام بين رجلين كل منهما طويل القامة ، ملوك البشرة ، سريع النظرات ، وفيما عدا هذين ، فلم يكن ثمة تشابه . ان احدهما الرحالة ريتشارد سكوت ، وكان رجلاً قوى المظهر ، عارم الشخصية ، جذاباً في سلوكه وتصوفاته . اما الميجور بورتر ، صديقه وزميله في الصيد ، فكان رجلاً جادم الوجه ، هادئاً السمع ، تنم عنده الزرقاوان على التفكير والتأمل المستمر ، وبينهما كانت تسير ميجورا سكوت ، عروس ريتشارد التي تزوجها قبل ذلك بثلاثة أشهر . وكانت فتاة مشوقة القوام ، ذات عينين واسعتين كستانثيتين ، وشعر ذهبي اللون ، يميل إلى الحمرة ، ويدور حول وجهها كأنه حالة من نور .

وقال ساترويت لنفسه : « لا ينبغي ان تصاب مثل هذه الطفلة بآي سوء . ان من العار ان تعاني طفلة كهذه من شرور البشر » .

وحيت الليدي سينثيا القادمين بيدها وبفيض من عبارات الترحيب ،
ثم قالت :

— اجلسوا ولا تقاطعوا المستر ساترويت ، لسوف يقص علينا قصة
شبح .

فقال ريتشارد سكوت :

— شبح جرينواي ؟

نعم ، أتعرف قصته ؟

— نعم . كنت أتردد من قبل على هذا البيت قبل ان يبيعه آل اليوت ،
وهم يسمون الشبح « الفارس الرقيق » أليس كذلك ؟!

وهنا تتممت زوجته بصوتها الناعم فائلاً :

— الفارس الرقيق ؟! يبدو ان القصة ممتعة حقا ، حدثنا عنها
يا مستر ساترويت .

وحاول ساترويت أن يروغ بأن أوضح لهم أنها قصة خالية من عامل
التشويق ، ولكنهم الحوا عليه ، فلم يجد مفرًا من الحديث قائلاً :

— اعتقد ان القصة الاصلية تدور حول فارس كان جدًا لاسرة آل
اليوت . وكان لزوجته عتيق من حزبعارض . وقد فر هذا العتيق
هاربا مع الزوجة بعد ان قتل الزوج في احدى غرف الطابق العلوي .
ولكن العتيقين ، اثناء فرارهما من البيت ، استدارا اليه ، فرأيا في
نافذة الغرفة التي كانت مسرحا للجريمة ، وجه الزوج القتيل يراقبهما .
هذه هي الاسطورة كلها . ولكن الذي حدث بعد ذلك ان زجاج نافذة تلك
الغرفة كان يbedo من قريب نظيفا لا ابر للبقع فيه ، ولكن الناظر اليه من
بعيد يخيل اليه انه يرى وجه فارس رقيق يbedo وراءه .

ورفت المسز سكوت رأسها ونظرت الى واجهة البيت ، وهي
تقول :

— ابة نافذة هذه ؟

— انك لا ترينها من هذا المكان ، لأنها في الجانب الخلفي من البيت .
وقد كسيت جدرانها بالألواح الخشبية منذ أربعين عاما تقريبا . وقد
أغلقت هذه الألواح النافذة من الداخل .

— ولماذا فعلوا هذا ؟ لقد ظننت انك قلت ان الشبح لا يخرج من
الغرفة .

— نعم . ولكن الخرافات كثرت حول ذلك الشبح ، فأكثر اصحاب

البيت السابقون ان يضعوا حدا لهذه الغرافات .
ومنذئذ استطاع ببلادة ان يدير دفة الحديث الى موضوع اخر ، وهو
موضوع الرجم بالفيف عن طريق الرمل او ورق اللعب او القوافع
الجافة .

وهنا قال ريتشارد ضاحكا :

- لقد حاولت ميورا ان تفري غجرية من الراجمات بالفيف ان تنبئها
عن المستقبل ، ولكن العرافاة اعادت اليها النقود ، ورفضت ان تقول لها
 شيئا .

قالت ميورا :

- لعلها وات في شفحات مستقبلني احداثا رهيبة ، فرفضت ان
تصدمني بها .

قال لها الكابتن الينسون باسمها :

- اوه ! لا تركني الى التشاوم يا مسر سكوت ، فانا احد الذين
يؤمنون بأن افراح الحياة في انتظارك دائمـا .

وقال المستر ساترويت لنفسه :

« ارجو هذا .. ولكن .. »

وفجأة نظر امامه بسرعة ، فرأى سيدتين تخرجان من البيت ،
احداهما بدينة قصيرة ، سوداء الشعر ، ترتدي ثوبا من الحرير الاخضر ،
والثانية طويلة القامة ، مشوقة القوام ، في ثوب من الحرير الابيض .
والسيدة الاولى كانت مسر انكرتون المضيفة اما السيدة الثانية فلم يكن
ساترويت قد رآها من قبل .

وقالت المسر انكرتون في زهو :

- هذه مسر ستافerton قد وصلت اخيرا . اعتقاد ان المدعوين جمـعا
قد تكامل عدهم .

وركل ساترويت نظراته على المسر ستافerton ، فرآها طبيعية في
حر كاتها وفي حديثها ، وهي تقول لريتشارد سكوت في غير مبالاة :

- هالو ريتشارد ، يخيل الي اني لم ارك منذ اجيال واجيال واني
اقدم اسفى حيث لم اشرف بالحضور الى حفلة زواجك . اهذه عروسك ؟
لا شك انك يا عزيزتي قد مللت الجلوس مع اصدقاء زوجك الصيادين
اللوجي الوجوه دائمـا .

وأجابتها ميورا في رقة وخجل بينما كانت مسر ستافerton تجمعها

بنظرات سريعة ، ثم اذا بها تتحول بسرعة الى الحديث مع الليدي سينثيا بنفس البساطة والخفة . وادرك ساترويت انه امام امراة خطيرة حقاً تعرف كيف تخفي مشاعرها تحت ستار من التلطف والنعومة . امراة ذهبية الشعر ، عينها زرقاوان وصوتها ذو رنين خاص ، كما انها مضيئة الابتسام .

وجلست ايريس ستافرتون لتفدو ، منذ اللحظة الاولى ، موضع اهتمام الجميع ، وهذا ما ادركه ساترويت على الفور . وتذكر ساترويت فجأة ان الميجور بورتر عرض عليه ان يتمشيا في الغابة المجاورة قليلاً ، ومن ثم نهض ، وأومأ له ، وما لبثا ان سارا في الممر المؤدي الى خارج البيت .

وقال الميجور :

- ان قصة الشبح التي حدثنا بها الان عجيبة حقاً .
- لسوف اطلعك على النافذة التي كان شبح الفارس يبدو وراءها .
ومضى بها الى الجانب الغربي من البيت ، وهناك كانت حديقة صغيرة تابعة للبيت ، تسمى « الحديقة الخاصة » لأنها محجوبة عن الخارج بسور مرتفع تعلوه النباتات المتسلقة ، وحتى الممر المؤدي اليها كان حلوانياً متعرجاً يحجب به السور المرتفع ذو النباتات المتسلقة .

وعندما يدخل الانسان الى هذه « الحديقة الخاصة » يحس انه في عزلة تامة عن العالم ، وانه اصبح في عالم خاص جميل ، كله زهور وشلّى وخضرة دائمة .

وعندما يلتفا منتصف الحديقة ، اشار ساترويت الى المنزل الذي كان يمتد من الشمال الى الجنوب . اما الجانب الغربي الضيق ، فقد كانت ثمة نافذة في الطابق الاول الذي يعلو الطابق الارضي ، تقاد النباتات المتسلقة تبلغ حافتها . وظهر ان زجاجها مختلف من الداخل باللوح الخشبية .

وقال ساترويت مشيراً اليها :
- هذه هي النافذة . ان الالواح الخشبية الداخلية تخفيها من داخل الفرفة .

واشراب الميجور بورتر بعنقه ، ثم قال وهو يحملق في زجاج النافذة :
- ها ! انتي لا ارى اكثر من لون حائل في احد الالواح الزجاجية ..

لا اكثر .

- لانك شديد القرب من النافذة .. ولكن هناك مرتفعا خاليا من الشجر في الفابة القريبة يمكنك منه ان تلقى نظرة على النافذة من بعيد .

ومضى مع بورتر الى خارج الحديقة الخامسة ، ثم انعطف يسارا وتقدم في الطريق الى الفابة . وكان يقول وهو في طريقه ، بحماس :
- لقد انشئوا نافذة اخرى في الجانب الجنوبي من المنزل ، اي الجانب الذي كنا نجلس فيه منذ لحظات . ويلوح لي ان ديتشارد اسكت و زوجته سينزلان في هذه الفرقة بالذات مما جعلني امتنع عن الاستطراد في الحديث عن الشبح . لقد خشيت ان تضطرب اعصاب مسر سكت حين تعلم أنها نام في غرفة مسكونة بشبح قتيل .

- آه .. فهمت .

ونظر ساترويت اليه بسرعة ، فادرك من سمات الشروق البدية عليه ، انه لم يسمع منه كلمة واحدة ، وانما استطرد يقول كانما يحدث نفسه :

- نعم . نعم . ما كان يتبعي ان تحضر الى هذا البيت ابدا .
وكان الناس عادة يتتحدثون هكذا مع ساترويت باعتباره شخصية سلبية لا وزن لها في مشكلات الحياة .. ولكنه قال متضاوبا في الحديث ، وهو يظنه يتحدث عن مسر ستافرتون ...
- هل هذا رأيك ؟!

- لقد كنت مشتركا في تلك الرحلة . ديتشارد وانا وايريس ستافرتون ، انها امراة رائعة ، وصيادة بارعة . فلماذا دعواها الى هذه الحفلة ؟!

فهز ساترويت كتفيه قائلا :

- ربما لجهلهم بالحقيقة .

- لسوف يحدث بعض الاضطرابات ، وينبغي ان تكون على حذر ،
ومستعدين لليل كل جهدنا لكي تمر نهاية هذا الاسبوع على خير .

- ولكن مسر ستافرتون لا شك ...

- انتي اتحدث عن سكت . اترى ان مسر سكت العروس الشابة يجب ان نهتم بأمرها اذا هي عرفت الحقيقة .
وبعد برهة من الصمت ، قال ساترويت :

- كيف التقى ريتشارد سكوت بعروسه ؟
 - في الشتاء الماضي ، في مصر . واحتصل لهيب الحب بينهما سريعاً ؛ وتمت الخطبة في ثلاثة اسابيع ، والزواج في ستة اسابيع .
 - الواضح انها فتاة جذابة جداً .
 - انها فعلاً جذابة وجميلة ، وهو يقدسها . ولكن هذا لا يعني شيئاً .
 - وفجأة عاد يقول بهجة كمن يحدث نفسه :
 - اللعنة على كل شيء .. ما كان ينبغي ان تحضر . وكان قد وصلاً عندي الى المرتفع في الغابة ، فاستدار ساترويت وأشار الى النافذة قائلاً :
 - انظر !
- ورغم شفق الغروب ، فقد كانت النافذة واضحة ، وكان يبدو ان وجه رجل يطل من وراء زجاجها ، وعلى رأسه قلنسوة فارس عليها ريشة طائر ، وقال بورتر :
- هذا عجيب .. عجيب جداً . ماذا يحدث مثلاً اذا تحطم هذا اللوح الزجاجي ؟
- فابتسم ساترويت قائلاً :

- هذه احدى الجوانب المدهشة في هذه القصة ، ان هذا اللوح الزجاجي استبدل احدى عشرة مرة ، وربما اكثر . وكانت المرة الاخيرة منذ اثنى عشر عاماً ، ولكن البقع التي يتكون منها شكل وجه الشبح لا تثبت ان نظيرها اخرى . وهي لا تظهر دفعة واحدة ، وانما تنتشر انتشاراً تدريجياً حتى يتكون شكل الوجه والقلنسوة خلال شهرين مادة .
- والمرة الاولى لاح الاهتمام الشديد على وجه الميجور بورتر ، وسرت في جسمه رعدة خفيفة ، وهو يقول :
- هذا عجيب جداً ، وكم من الظواهر في الحياة ليس لها تعليل . ولكن ما جدوى وضع الواح الخشب وراء الزجاج اذن ؟!
- انتشرت اشاعة بأن الفرقة منحوسة ، فقد كان ايفشام مقيمها بها عندما طلق زوجته . وكان ستانلي وزوجته مقيمين بها عندما نزل ضيفين على ايفشام ، ولم يلبث ستانلي ان هرب مع فتاة من بنات الليل .
- فرفع بورتر حاجبيه في دهشة وقال :
- فهمت . ان الخطر في الفرقة ليس على الحياة . وانما على

الأخلاق .

وقال ساترويت لنفسه :

« ويقيم بها الان سكوت وزوجته .. ترى ماذا سيحدث ؟ »

وسارا في طريق العودة الى البيت صامتين ، كل منها يسير في سكون على العشب الاخضر ، مستترقا في افكاره . وحينما كانا ينبعطfan في الممر المؤدي الى الحديقة الخاصة سمعا صوت ايريس ستافرتون ينساب ، وهي تقول بحدة :

ـ لسوف تنندم على هذا .. نعم . سأجعلك تنندم على هذا !

وابا جاب سكوت بصوت خافت مضطرب غير مسموع ، ومرة اخرى ارتفع صوت ايريس ستافرتون عنيفا حادا من قلب الحديقة الخاصة :

ـ الغيرة ؟ انها تدفع بالانسان الى الجحيم .. انها الجحيم نفسه . انها قد تدفع المرء الى ارتكاب جريمة قتل . فكن على حذر يا ريتشارد . نعم . كن على حذر .

وعندئذ خرجت امامهما « من الحديقة الخاصة » ، ثم انحرفت عند منعطف المنزل ، دون ان تراهما ، وسارت بسرعة وخفة وكانت هي تجري خائفة من شيء .

وفكر ساترويت مرة اخرى في كلمات اليدى سينثيا . حقا ان هذه المرأة خطيرة . وشعر لاول مرة بذلك الاحساس الذى يجعله يتوقع حدوث مأساة في وقت قريب .

ولتكنه في ذلك المساء خجل من مشاعره المنطوية على الخوف والنشاؤم ، فقد بدا كل شيء طبيعيا لطيفا . فايروس ستافرتون لا يجد عليهما اي توتر عصبى وهي تتحدث بطريقتها البسيطة الرقيقة ، وميمورا سكوت بقيت كما هي ، حلوة جدابة ، لا انر عليها لاضطراب او خوف . بل انها كانت تتحدث في مودة مع ايريس وكأنهما صديقتان . بل ان ريتشارد سكوت نفسه كان يجد مبهجا سعيدا .

اما مسز انكرتون، فكانت هي الوحيدة التى تبدو عليها الهموم والقلق . وقد قالت للمستر ساترويت على انفراد في النهاية :

ـ لعلك ستتمنى بالحمامة والسفخ ، ولكنني اشعر بخوف شديد رغم ما في ، وقد ارسلت الى صانع الزجاج دون ان اخبر زوجي بالأمر .

ـ صانع الزجاج ؟

ـ نعم . ليضع لoha جديدا من الزجاج في تلك النافذة . ان زوجي

نيد فخور بقضية الشيخ الذي يسكن منزله ، ولكنني لا اشاركه هذا الفخر ،
ولهذا فقد ارسلت لاستدعاء صانع الزجاج ليضع لوحًا جديداً نظيفاً
من الزجاج .

— ولكنك نسيت ، او لعلك لا تعلمين ان شكل وجه الشبيح يرتسם على
اللوح بعد شهر او شهرين .

— انتي انحدري هذا الوجه ، ولسوف اضع لوحًا جديداً من الزجاج
كل شهر او كل أسبوع اذا لزم الامر . ان ثمن هذه الاواني لن يؤدي الى
افلاستنا على كل حال .

وقال ساترويت لنفسه : « والآن على شبيح هذا الفارس ان يجد
طريقة جديدة ليستطيع التغلب بها على قوة المال » .

وشاء القدر في تلك الليلة ان يسمع ساترويت حدثاً اخر . في بينما
كان صاعداً الى غرفته ، رأى الميجور بورتر والمسئ ستافرتون جالسين
في ركن من الباب الكبير ، بالقرب من السلم ، يتبدلان الحديث ، وكانت
هي تقول بصوتها الذهبي :

— لم اكن اعرف ان سكوت وعروسه من بين المدعون . ولو كتبت
اعرف لما حضرت . ولكنني اؤكد لك يا عزيزي اني لن اهرب من هذا
الموقف ما دمت قد حضرت ..

ومضى ساترويت في طريقه بعيداً عن مرمى السمع ، وهو يقول
لنفسه :

« ترى اهي صادقة في حديثها ؟ احقاً لم تكن تعرف ان ريشارد
سكوت لم يكن بين المدعون » .

وفي الصباح ، وفي ضوء الصافي ، احس انه بالغ في مخاوفه
وأوهامه في الليلة السابقة . ولا شك ان كل ما خامره كان ناتجاً من توتو
العصابة ؛ او لعل خمول الكبد عاده مرة اخرى . نعم .. انه الكبد . ان
عليه ان يمضي للاستشفار في كارلسbad في اول فرصة .

وعند الغروب اقترب على الميجور بورتر ان يتمشيا مرة اخرى في
الغابة ، وان يمضيا الى المرتفع ليروا هل كانت المسئ ستافرتون صادقة في
قولها انها ستغير اللوح الزجاجي في النافذة باخر جديد ! ولكنـه في
الواقع كان يريد ان يستمتع برياضة المشي .

وسار الرجلان ببطء في الغابة ، وكان الميجور بورتر كالمعتاد متحفظاً ،
قليل الكلام . اما ساترويت ، فقد قال على سبيل المحادثة :

- لا يسعني الا ان اشعر بأننا كنا واهمين حين توقعنا حدوث شيء خطير امس . فالمعلوم ان الناس عادة يكتون مشاعرهم الخاصة في مثل هذه الظروف ، وبحاولون ان يحسنوا السلوك مع الداعين والمدعوين .

فقال بورتر :

- لعلك تعني الناس المتحضرين ..

- ماذا تقصد ؟

- اقصد الناس الذين عاشوا فترات طويلة خارج العالم المتحضر ، يرتدون احيانا الى العالم الهمجي الذي تعودوا عليه .

وبنهاية الملتئع في الغابة ، وهناك رأيا وراء زجاج النافذة وجهه الشبح ، وكان في هذه المرة اقرب ما يكون الى وجه انسان حي .

وقال ساترويت :

- يبدو ان المسز انكرتون لم تجرب على تغيير اللوح الزجاجي .

- لا شك ان زوجها عارضها بشدة في هذا الشأن . انه من الاشخاص الذين يفخرون باشباح الاسر الأخرى . ولعله لم يشتري هذا المنزل الا لانه مشهور بأن « الفارس الرقيب » يقيم فيه .

تم ارتدف وهو ينظر الى العشب الحيط به :

- الم يخطر ببالك يوما ان المدنية خطيرة جدا ؟

فقال ساترويت في دهشة :

- خطيرة جدا !

- نعم . لأنها خالية من صمامات الامان النفسي .

وفي طريق العودة قال ساترويت للمجوز بورتر :

- انتي لا افهم تماما ماذا تعني يا ميجور !

فضحك بورتر وقال :

- اظنني انتي اخرف بما لا اعرف يا ماستر ساترويت ؟ حسنا . ان هناك انسانا يشعرون بقرب هبوب العواصف ، وهناك كما تعرف ، انسان يحسون بقرب وقوع امور خطيرة . وانا اشعر ان امورا خطيرة ستتقطع الان ، نعم بما ماستر ساترويت ... امورا خطيرة جدا .. ربما تحدث في اية لحظة .. حالا ..

وامسك عن الكلام فجأة ، ووضع يده على ذراع المستر ساترويت وفي اللحظات القليلة التالية ، فوجيء كل منهما بسماع طلقتين ناريتين ، اعقبتهما صيحة امرأة .

وهتف بورتر قائلاً :

- يا الهي .. هلم نسرع ..

وانطلق يمدو في الطريق الى البيت ، والمستر ساترويت وراءه يلهث .
وفي لحظات كانا قد وصلا الى المر المؤدي الى الحديقة الخاصة ، وفي
الوقت نفسه كان ريتشارد سكوت والمستر انكرتون يقبلان من الجانب
الآخر من المنزل نحو الحديقة ، وتوقف الرجال الاربعة امام بعضهم
البعض ، على الجانب اليسير والايمن للحديقة الخاصة .

وقال انكرتون ، وهو يشير باصبعه الى تلك الحديقة :

- لقد صدر الصوت من .. منها ..

وقال بورتر وهو يتقدمهم في المنعطف المؤدي الى الحديقة :

- هلم نرى ..

ولما بلغ مع اصحابه اخر منحنى في المر المؤدي اليها ، توقف متسلما
في مكانه ، واخلص ساترويت النظر من وراء كتفه ، بينما ارسل سكوت
صيحة عالية ..

كان ثمة ثلاثة اشخاص في قلب الحديقة الخاصة الثان ، شاب
وشابة ملقيان بجوار المقعد الحجري ، والثالثة ، المسن ستافرتون واقفة
بجانب السياج تنظر بعينين ملوهتين الفرع الى شيء في يدها اليمنى .
وصاح الميجور بورتر :

- ابريس ! ابريس ، ما هذا الذي في يدك بحق السماء ؟

فنظرت اليهم في دهشة وذهول ثم قالت في شيء من عدم الاهتمام :

- مسدس ..

ثم اردفت قائلة بعد لحظة كانها بهرت :

- تناولته من ارضية الحديقة ..

وتقدم المستر ساترويت الى حيث كان انكرتون وسكوت راكعين بجانب
الجسدين ، وكان سكوت يهتف قائلاً :

- اسرعوا باستدعاء طبيب .. يجب استدعاؤه حالا ..

ولكن يد الموت كانت اسبق من الطبيب .. وهكذا ظل جسد الكابتن
جيمس الينسون مسجى على العشب بجوار جسد ميورا سكوت .. بلا
حركة او حياة ..

وكان ريتشارد سكوت هو الذى تولى فحص الجسدين وتأكد من
موتهما ، وقد بدا بوضوح انه حقا يتمتع باعصاب حديدية ، وانه ، بعد

صيحة الالم والدهشة الاولى ، استرد زمام اعصابه بسرعة .

قال ، وهو يعيد وضع جسد زوجته على العشب برفق :

— اصابتها الرصاصية من الخلف . لقد نفذت من ظهرها الى صدرها .

ولما فحص جيمي الينسون وجد ان الجرح في صدره ، وان الرصاصية اصابته من امام واستقرت في جسمه .

وقال بورتر بحزن وهو يقترب منه :

— لا ينبغي ان يلمس احد شيئاً . فالواجب ان يجد البوليس كل شيء كما حدث .

وبرقت عينا ريتشارد سكوت بنيران الفضب ، وهو ينظر الى المسؤ ستافرتون ويقول « البوليس » ثم تقدم نحوهما ، ولكن بورتر افترض سبيله ، وراح يتبادل معه النظارات الحادة برهة ، ثم قال وهو يهز راسه :

— لا يا ريتشارد . ان المظاهر تدل على انها هي — ولكنك مخطئ في ظنونك .

— اذن لماذا ؟ كان المسدس في يدها ؟

وهنا قالت ارييس في لهجة الدفاع عن نفسها :

— لقد تناولته من ارضية الحديقة .

وقال انكرتون :

— البوليس . يجب استدعاء البوليس فوراً . ويجب ان يبقى احد هنا .

وتطوع ساترويت بان يبقى في مكان الحادث حتى يأتي رجال البوليس . وقبل الضيف هذا العرض ، ثم قال :

— يجب ابلاغ الامر للسيدات . نعم . لليدي سينثيا ، ولو زوجتي العزيزة .

ويقى ساترويت في الحديقة الخاصة ينظر الى الحشتين ، ويقول لنفسه في اسف : « مسكينة ايتها الطفلة . لقد ذهبت في عمر الزهور » .

وفبما هو يتأمل وجهها الصغير ، ونصف الابتسامة التي لا تزال باقية على ثفراها ، وشعرها الذهبي المشمع ، واذنانها الدقيقة الرقيقة ،

لاحظ وجود بقعة من الدم على شحمة الاذن . واحس في اعمق نفسيه بالرغبة في الاستنتاج والاستدلال ، كما بفعل رجال المباحث ، ومن ثم

استنتج ان هذه البقعة تائهة من قرط كان في تلك الاذن . نعم . هذا صحيح ، لانه رأى في الاذن الاخرى قرطا صغيرا عبارة عن حبة لؤلؤ في

مشبك ذهبي ،

وقال مفتش البوليس وتكتيلد بعد ان سال الجميع ، ثم جلس معهم في البهو الكبير :

— والان يا ميجور بورتر ، افهم انك كنت عائدا من الغابة مع المستر ساترويت عندما سمعتما طقطتين ناريتين ثم صيحة امرأة ، فاندفعتما تجربان في المعر المتنوي المؤدي الى الحديقة الخاصة من الناحية اليسرى .

اليس كذلك ؟

— تماما .

— ومعنى هذا انه لو كان احد اراد الهرب من الحديقة الخاصة لالتقى بك وبالمستر ساترويت ، او بالمستر انكرتون والمستر سكوت اللذين كانوا مسرعين من الجهة اليمنى . لانه لا يوجد منفذ آخر للحديقة الخاصة .

— نعم يا سيدي المفتش . هذا صحيح .

— حسنا جدا . وفي الوقت الذي كنتما فيه في الغابة ، كانت المسر انكرتون وزوجها ، والليدي سينثيا جالسين في المعر الرئيسي المؤدي الى البيت ، وكان المستر سكوت جالسا في غرفة البلياردو المؤدية الى ذلك المعر ، وفي الساعة السادسة وعشرين دقائق ، خرجت المسن ستافرتون من المنزل وتبادلت حديثا قصيرا مع العمالسين في المعر ، ثم انطفت عند ركن المنزل في طريقها الى الحديقة الخاصة . وبعد دقيقةين دوت الطلقات الناريتان ، فاندفع المستر سكوت والمستر انكرتون في طريقهما الى الحديقة الخاصة من الناحية اليمنى للمنزل ، وفي نفس الوقت كنت انت يا ميجور بورتر مع المستر ساترويت تندفعان اليها من الجهة الاخرى ، اليسرى . وهنا رأيتم جميعا المسن ستافرتون واقفة والمسدس الذي انطلقت منه الرصاصتان في يدها اليمنى . وكما افهم ما حدث ، اقول انها اطلقت اولا رصاصة على المسن سكوت في ظهرها وهي جالسة على المقعد الحجري ، فلما وتب الكابتن الينسون مندفعا اليها ، اطلقت الرصاصة الثانية في صدره ، وقد فهمت انه كان ثمة علاقة ماطفية سابقة بينها وبين المستر سكوت .

فقال بورتر بصوت اجش كله التحدى :

— هذه اكلامية لعينة .

وهو المفتش كتفيه ، بينما قال المستر ساترويت :

- وما هي اقوال المسر ستافرتون ؟

- قالت انها ذهبت الى « الحديقة الخاصة » لتنفرد بنفسها ببرهة ، وفيما هي تمر عند اخر منعطف في مدخل الحديقة سمعت الطقتين الناريتين ، فاسرعت الى مكان الصوت ورات المسدس على الارض ، فتناولته ، ولم تر في الوقت نفسه احدا داخل الحديقة او خارجا منها ، وانما رات فقط المصاين ملقين بجوار المقدح الحجري . هذه هي اقوالها التي أصرت على الادلاء بها رغم اني حذرتها من الادلاء باي شيء الا في حضور محام لها .

وهنا قال الميجور بورتر في حزم واصرار :

- اذا كانت هذه اقوالها ، فهي صادقة . فانا اعرف ايريس ستافرتون .

- حسنا يا سيدي . ان الوقت متسع لاتبات براءتها فيما بعد . اما الان ، فان علي واجبا ينبغي ان اؤديه .

وبحركة سريعة ، التفت الميجور بورتر الى المستر ساترويت ، وقال له :

- انت ؟ الا تستطيع ان تساعدها ؟ الا يمكنك ان تقوم بشيء لاتبات براءتها ؟

واحس ساترويت بالزهو يملأ نفسه ، ولا غرو ، فهذا هو رجل معروف في الوسط الاجتماعي ، يلجا اليه ، ويلتمس منه المساعدة .

و قبل ان يقول شيئا ، اقبل رئيس الخدم تومبسون يحمل على صحفة من فضة بطاقة قدمها الى سيده المستر انكرتون الذي كان متىهاكا في مقعده ، ثم قال :

- حاولت ان اعتمر للسيد بانك مشغول الان ، ولكنه اصر على مقابلتك قائلا ان بينك وبينه موعدا .

ونظر انكرتون الى البطاقة ثم قال :

- المستر هارلي كوين ! آه . نعم . لقد حددت موعدا لقابلته بشان احدى اللوحات المchorة ، ولكن الظروف الان ...

وهنا هتف المستر ساترويت قائلا :

- اتفقول هارلي كوين ؟ ما اعجب هذا ! لقد طلبت المساعدة مني يا ميجور بورتر ، واعتقد ان في مقدوري تحقيق طلبك . ان المستر كوين صديق لي ، وهو شخصية ممتازة في مثل هذه الظروف .

وقال المفتش في لهجة لا تخلو من تهكم :

- اظن انه احد هواة كشف الفموض عن الجرائم المعقده ؟

- لا .. ليس احد الهواة ، وانما رجل له قدرة عجيبة على ان يجعلكم ترون بأعينكم ما كان يجب ان تروه ، وان تسمعوا باذانكم ما كان ينبغي ان تسمعوه . ولن يضيرنا شيء اذا نحن عرضنا عليه الخطوط الرئيسية للمسألة ثم نعرف ماذا سيقول لنا .

ونظر المستر انكرتون الى المفتش الذي رفع عينيه الى السقف ساخرا ، ثم اومأ برأسه الى رئيس الخدم توميسون ، فنادر هذا البهلو ، ثم عاد ومعه المستر كوبن بقامته الطويلة وجسمه التحيل .

وقال المستر كوبن بعد ان صافح المستر انكرتون ، وحيانا برأسه الجميع :

- انتي آسف لحضورك في هذا الوقت يا مستر انكرتون . واظن انه ينبغي ان نهمل الان حديثنا البسيط عن اللوحة الزيتية . آه . هذا هو صديقي المستر ساترويت ، اعتقادك انك لا زلت مشغولا بما يجري على مسرح الحياة كما عادتك .

وقال ساترويت ، وهو ينظر الى المستر كوبن الذي كان يبتسم :

- مستر كوبن . انتا الان في خضم احدى مسرحيات الحياة . وانتي وصديقي الميجور بورتر نريد ان نعرف راييك في احداثها .

وبعد ان ذكر له تفاصيل ما حدث ، هز المستر كوبن راسه ، وقال :

- هذه مأساة مؤلمة ! واعتقد ان انتقاء الباعث على القتل يجعلهما شديدة الفموض .

فحملق المستر انكرتون في وجهه قائلا :

- انك لا تدرك حقيقة الموقف . فقد سمعت المسز ستافرتون وهي تهدد المستر سكوت . كانت شديدة الغيرة من زوجته .. والغيرة ..

- انتي اتفق معك . ان الغيرة عاطفة مدمرة ، ولكنك اخطأت فهم كلماي ، انتي كنت اعرب عن اسفي الشديد لقتل الكابتن جيمس البنسون .

وهنا هتف الميجور بورتر قائلا :

- انك على حق . ان مقتل الكابتن يشير الشك في المأساة كلها . فإذا كانت المسز ستافرتون تنوى قتل المسز سكوت ، لاستدرجتها بمفردتها الى مكان آخر . نعم . انتا نسي في الطريق الخطأ . وانا اعتقد ان هناك

ووجه آخر للموضوع . وانا اعترف ان هؤلاء الاشخاص الثلاثة ذهبوا الى الحديقة الخاصة قبل وقوع الحادث : جيمي الينسون ، ومسر سكرت ، نم مسر ستافرتون . ورأيي هو ان جيمي الينسون اطلق النار على المسر سكوت ، ثم على نفسه ، ثم وقع المسدس من يده حيث تناولته المسر ستافرتون عند دخولها عقب الحادث مباشرة .

فهز المفتش رأسه ، وقال :

ـ هذا التعليل غير معقول . فلو ان الكابتن الينسون قتل نفسه ، لظهرت آثار البارود على ملابسه .

ـ لم Lehle اطلق النار على نفسه من مسافة ذراع .

ـ ولماذا يفعل هذا ؟ لا معنى لذلك . وعدا هذا فما هو السبب ؟

ـ ربما فقد صوابه فجأة .

وصمت بورتن وهو يشعر ان حجته ازدادت ضعفا عند هذا الحد .

ولكنه لم يلبث ان قال للمستير كوين في تحد :

ـ ما راييك انت يا مستير كوين ؟!

ـ اني لست ساحرا ، بل ولست باحثا جنائيا . ولكن يمكنني ان اقول اني اؤمن جدا بقيقة الانطباعات النفسية . ففي اللحظات المصيبة ، تنشق في الذهن لحظة معينة ، او صورة معينة بعد ان تتلاشى جميع الصور الاخرى . ويبدو لي ان المستير ساترويت هو المراقب الوحيد ، المحايد في هذه المأساة . فهل يمكن ان تصود بذاكرتك يا مستير ساترويت وتخبرنا عن اشد هذه اللحظات ادارة لنفسك ؟ هل كانت اللحظة التي سمعت فيها الطلاق الناري ، ام التي وقفت فيها تنظر الى الجسدين الهامدين ، ام التي رأيست فيها المسر ستافرتون واقفة والمسدس في يدها ؟!

وركل ساترويت عينيه في وجه المستير كوين كأنه تلميذ امام استاذ ،

ثم قال ببطء :

ـ لا . ان اللحظة التي انطبع في نفسي هي عندما وقفت انظر الى المسر سكوت بوجهها الصغير ، وشعرها الذهبي المشتعل ، و .. وبقعة الدم على شحمة اذنها .

وما كاد يقول هذا حتى ادرك انه القى بما يشبه القنبلة ، واذا بالمستير انكرتون يتمتم ببطء :

ـ دماء على اذنها ؟ نعم .. نعم .. اني اتذكر هذا .

ـ واعتقد ان قرطها لا بد انه انتزع من اذنها عندما سقطت على الارض .

وقال بورتر :

ـ كانت راقدة على جنبها اليسير . فلا شك ان الدم كان على اذنها اليسرى ؟

ـ لا . بل كان على شحمة اذنها البصري .

وتنحنح المفتش ، وقال وهو يمد يده بشيء بسيط :

ـ لقد عثرت على هذا في العشب . انه المشبك الذهبي للقرط .
فصاح بورتر قائلاً :

ـ يا الهي ! لا يمكن ان يتحطم القرط هكذا بمجرد سقوطها على الارض . الواضح انه انتزع من شحمة اذنها عنوة .
وهتف ساترويت قائلاً :

ـ نعم . نعم . لا شك في هذا . ولا شك انها رصاصة تلك التي حطمت القرط وجرحت الاذن .
وهنا قال المفتش :

ـ لم تنطلق غير رصاصتين فقط . ولا يعقل ان تجرح رصاصة اذنها ثم ترتد لتنفذ من ظهرها . فاذا افترضنا ان احدى الرصاصتين جرحت الاذن وحطمت القرط فانها لا يمكن ان تقتل الكابتن اليونسون في الوقت نفسه ما لم يكن واقفا امامها مباشرة وجد قريب منها . لا لا . هذا لا يمكن الا اذا كانت ...

ـ وصمت المفتش فجأة ، فاكمل له المستر كوبن العبارة بقوله :

ـ الا اذا كانت بين ذراعيه ! حسنا ! لماذا لا ؟!
وتبادل الجميع نظرات الدهشة . ذلك ان هذا الاحتمال لم يكن يخطر ببال احدهم . وقد قال المستر انكرتون :

ـ ولكن الكابتن اليونسون لا يكاد يعرف المسر سكوت .

ـ وقال المستر ساترويت لنفسه :

ـ من يدري ؟ لعلهما كانا يعْرِفان بعضهما البعض دون ان نعلم فقد قالت الليدي سينثيا ان الكابتن اليونسون كان لطيفا معها أثناء زيارتهما لمصر في الشتاء الماضي .

ـ والتفت ساترويت الى بورتر ، وقال له :

ـ اخبرني ان المستر سكوت تعرف بزوجته في مصر ، في القاهرة ،

في الشتاء الماضي ! فلعل اليهود تعرف عليهما أيضا في ذلك الحين .
فقال انكرتون :

ـ ولكن كان يبدو عليهما هنا أنهما لا يعرفان بعضهما البعض !

ـ لعاهما كانا يتظاهران بهذا لنفرض معين .

ـ وقال المستر كوبن للمستر انكرتون :

ـ أتري ماذا أوضح لنا المستر ساترويت بلاحظته الدقيقة ؟ والآن جاء دورك يا مستر انكرتون .
ـ ماذا تعني ؟!

ـ أعني أني لاحظت أنك كنت مستترفا في أفكارك عندما دخلت هذا الباب ، ولا بأس أن تخبرنا فيما كنت تفكير حتى لو لم يكن له علاقة بالمسألة .

فتردد انكرتون برهة ثم قال :

ـ الواقع أني كنت أفكر في موضوع خرافي لا علاقة له بالمسألة . لقد أخبرتني زوجتي أنها وضعت لوح زجاجيا جديدا في نافذة الشبّح ، واني لأشعر أن تغيير لوح الزجاج هو الذي جلب هذا النحس !
ولم يدر انكرتون لماذا حملق في وجهه كل من الميجور بورتر والمستر ساترويت الذي قال :

ـ أتفهم ان زوجتك وضعت لوح زجاج جديد في نافذة الشبّح ،
فعسلا ؟

ـ نعم . في صباح هذا اليوم ،

ـ وهتف الميجور بورتر قائلا :

ـ يا الهي ! لقد بدات افهم الان ! ان هذه الفرففة مكسوة الجدران
بألواح الخشب ، وليس بالورق الملون .

ـ نعم . ولكن ما علاقة هذا بالموضوع ؟!

ـ ولكن بورتر اندفع خارجا من الباب والجميع يتبعونه ، ثم صعد فورا إلى غرفة الشبّح ، التي كان يقيم فيها سكوت وزوجته . وكانت غرفة جميلة جدرانها مكسوة بألواح مصقوله في لون الكريم ، وتحسس بورتر الألواح بيده وهو يقول انه وافق من وجود مفتاح لباب سري ، وفجأة سمع الجميع طقطقة خفيفة وإذا جزء من الألواح يتحرك ويكشف عن الألواح الحائلة اللون في نافذة الشبّح ، وكان بينها لوح جديد نظيف .
وانحنى بورتر فجأة ثم التقط من على الأرضية ريشة نعام تم نظر الى

المستر كوين ، وبادله هذا النظر ، وهو يوميء اليه برأسه .
وعبر بورتر الفرفة الى خزانة الملابس حيث وجد فيها عددا من قبعات المسر سكوت ، وتناول منها قبعة عريضة الحافة ، مزينة بالريش من طراز سكوت .

وبدا المستر كوين يتحدث بهدوء :

ـ لنفرض ان هناك رجلا شديدا الغيرة بطبيعته . رجلا سبق ان اقام في هذا البيت اياما او اسابيع ، وعرف سر هذا الباب السري الذي يخفى نافذة الشبح من دخل الفرفة . ولنفرض انه اراد ان يتسلل ، ففتح هذا الباب ونظر من وراء زجاج نافذة الشبح الى الحديقة الخاصة ، فرأى زوجته بين ذراعي شاب من الضيوف وجن جنونه من فرط الغيرة ، ولكن ماذا يفعل ؟ لقد ومضت ياله فكرة . انه يذهب الى خزانة الملابس ، ويأخذ منها قبعة ذات حافة عريضة مزينة بالريش وكان شفق المساء يتجمع في تلك اللحظة ، وقد تذكر الاسطورة التي تدور حول شبح النافذة ، ومن ثم اطمأن الى ان اي شخص يراه من الخارج ، سيحسبه شبح « الفارس الرقيب » وهكذا داح يراقب الزوجة والشاب ، حتى اذا رآهما متعانقيين اطلق مسدسه عليهم ، وقتلهما برصاصة واحدة نفذت من الزوجة واستقرت في صدر الشاب . لكنه اطلق رصاصة اخرى اطاحت بقرط الزوجة . والمعروف انه بارع في اطلاق النار واصابة الهدف لانه صياد مشهور . تم القى بالمسدس من النافذة الى الحديقة الخاصة ، واندفع عائدا الى قاعة البلياردو ، ومنها الى الحديقة مع المستر انكرتون .
وهنا قال بورتر في دهشة :

ـ ولكنه تركها .. ترك المسر ستافرتون معرضة للاتهام . لقد وقف ساكننا وتركها تتحمل تهمة ارتكاب جريمة هي بريئة منها . فلماذا ...
لماذا ؟

فقال المستر كوين :

ـ اعتقد اني اعرف لماذا ؟ اعرف بالاستدلال والاستنتاج . فليس لي مفر من هذا . اعتقد ان ريتشارد سكوت كان يحب ايريس ستافرتون الى حد الجنون . وقد بلغ من قوة حبه لها ان عواطفه ثارت مشتعلة حين رآها بعد فراق سنوات . لقد اشتعلت عواطفه بالفيرة المجنونة هذه المرة . ذلك ان ايريس ظنت يوما انها احبته ولكنها بعد ان عادت من رحلتها في قلب افريقيا ايقنت انها احبت رجلا آخر .. الرجل الافضل والاكثر

أحزانا .

فقال بورتر في ذهول :

ـ الرجل الافضل ؟ هل تعني ..

فابتسم كوين وقال :

ـ اعنيك انت .

ثم صمت ببرهة قبل ان يردف قائلا :

ـ لو كنت في موضعك ، لذهبت اليها الان ، واحذتها بين ذراعي .

فقال بورتر في حزم :

ـ سوف اذهب حالا .

نم استدار وانطلق مسرعا .. الى ايريس .

الفصل الثالث

علامة في السماء

أخذ القاضي يلخص القضية للمحلفين بعد الانتهاء من نظرها بقوله : « والآن ايها السادة اوشكت ان افرغ مما اريد ان اقوله لكم . فاماكم الادلة التي يمكنكم بها ان تعرفوا ما اذا كان هذا المتهم هو القاتل الحقيقي لفيبيان بارنابي . لقد عرفتم من اقوال الخدم الوقت الذي اطلقت فيه الرصاصة ، وقد اجمعوا الرأي على هذا الوقت . وعرفتم أمر الخطاب الذي ارسلته فيبيان بارنابي الى المتهم في صباح اليوم الذي قتلت فيه . وهو يوم الجمعة الثالث عشر من شهر سبتمبر وقد اعترف المتهم بهذا الخطاب . وعرفتم كيف انكر المتهم ذهابه الى منزل المجنى عليهما في ذلك اليوم ، في ديرنج هيل ، ولكنه لم يثبت ان اضطر للاعتراف بهذه الزيارة امام الادلة التي قدمها البوليس . ولا تقوم هذه القضية على ادلة مادية ملموسة ، ومن ثم عليكم ان تصدروا حكمكم على اساس الدافع على القتل ، والوسائل ، والفرصة التي اغرت بارتكاب الجريمة وقد اقام محامي المتهم دفاعه على اساس ان شخصا غريبا دخل غرفة الموسيقى بعد

خروج المتهم منها ، واطلق الرصاص على فيفيان بارنابي من نفس البندقية التي قال المتهم انه - للمصادفة - نسيها وراءه . وقد سمعتم السبب الذي جعل المتهم يستغرق نصف ساعة في المودة الى بيته ! فاذا اتيتم ان تصدقوا اقواله ، واقتنعتم اقتناعا لا يقبل ادنى شك بان المتهم اطلق - عن عمد وسبق اصرار - بندقيته من مسافة قصيرة على رأس فيفيان بارنابي قاصدا قتلها ، وذلك في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر سبتمبر ، فان عليكم ، ايها السادة ، ان تصدروا حكمكم بالادانة . اما اذا خامرتم شكوك لها ما يبررها ، فان واجبكم يقتضي اطلاق سراح المتهم . وانا الان اطلب منكم ان تجتمعوا في غرفتكم ، وان تتفقوا على الحكم ، وان تخبروني به » .

وغاب المحلفون في غرفتهم نصف ساعة ، ثم عادوا واصدروا الحكم الذي كان كل من في القاعة يتمنى به : وهو « ادانة المتهم » .

وانصرف المستر ساترويت من المحكمة على مضمض وهو يفكر في هذا الحكم بوجه مقطب . لو انها كانت مجرد قضية جريمة قتل من النوع الذي لا يثير اهتمامه عادة ، لما نظر في الذهاب الى المحكمة ، ولكن هذه القضية التي سميت قضية « وايلد » ، كانت تختلف عن مثيلاتها . فالالمعروف ان الشاب مارتن وايلد من النوع الذي يمكن ان يقال عنه « مهذب » او جنتلمن . وكانت الشخصية او المجنى عليها شابة حسناء ، زوجة السير جورج بارنابي ، وهي معروفة في الوسط الراقي .

كان يفكر في هذا كله وهو يتوجه نحو شارع هولبورن ، ومنه الى شبكة من الشوارع المؤدية الى حي سوها . وفي احد شوارع هذا الحي ، دخل مطعم صغيرا لا يتردد عليه الا الطبقة الثرية بسبب ارتفاع اسعار ما يأكلاته . وكان جو المطعم من الداخل هادئا ساكنا ، والضوء خافت ، كأنه محراب في معبد . اما اسم هذا المطعم فهو آرليكتشنبو .

ومضى ساترويت ، وهو لا يزال يفكر ، في طريقه داخل المطعم الى المائدة التي تعود الجلوس عليها في احد الاركان ، ولكنه فوجيء بوجود شخص آخر جالس اليها ، فرارا ان يتراجع ، ولكن هذا الشخص استدار اليه فجأة ، وادا ساترويت يقول :

- ليحفظني الله ! انه المستر كوبن !!

وازداد انتقام المستر ساترويت وهو يرى امامه هذه الشخصية الخفية العجيبة التي تنقله ، عند الاحداث الهامة ، من دور المترجع على

مسرح الحياة ، الى دور الممثل فوق هذا المسرح نفسه .
وجس مبتهجا الى نفس المائدة ، وبعد ان احضر الخدم طلباتهما ،
قال :

- لقد جئت فورا من محكمة اولد بيلي . انها قضية مؤلمة .
- لقد قرر المحلفون ادانته !!
- نعم . بعد نصف ساعة من تبادل الرأي .
- بناء على الادلة المقدمة اليهم ! اليس كذلك ؟
- ومع ذلك

ولما تردد ساترويت برهة في اتمام كلامه اكلمه المستر كوين قائلا :
- ومع ذلك فانت في جانب المتهم ؟ اليس هذا ما اردت ان تقول ؟
- اعتتقد هذا . فان مارتن وايلد شاب لطيف وسيم لا يكاد يخطئ ببال
احد انه يرتكب جريمة كهذه . ومع ذلك فكم من شبان ظرفاء اوتکبوا من
الجرائم ما يملأ القلوب بالفزع .
- والرأي الشائع عنه انه اراد ان يتخلص من عشيقته لكي يتزوج
خطيبته !

- نعم . ولكن الادلة ..
- اوه . اني لم احضر المحاكمة يا مستر ساترويت . كما اني لا
امرف الكثير عن الحياة الخاصة للمجنى عليها ولزوجها وللمتهم . ولكنني
امرف انك يا مستر ساترويت تعرف الشيء الكثير عن هذه الحياة . هلا
اخبرتني بما تعرف ؟

ومرة اخرى احس ساترويت بالزهو وهو يجد نفسه يؤدي دورا
رئيسيا في احدى مسرحيات الحياة . ومن ثم راح يسرد معلوماته عن
فيسبان بارنابي ، زوجة السير جورج بارنابي الشابة الحسناء وعن علاقتها
السابقة بالشاب مارتن وايلد ، وعن خطيبته سيلفيا ديل القيمة في قرية
قريبة تسمى ديرنج فيل . وقد بدأ حديثه عن الحياة في قصر ديرنج هيل
الذي يمتلكه السير جورج بارنابي ، فقال ان هذا الرجل ، صاحب
القصر ، كان رجلا في خريف العمر ، بخيلا ، موفور الثراء ، شديد الفخر
بثراته ، كثير الاهتمام بالتفاهات ، فهو مثلا قد تعود دائما ان يدفع اجر
الخدم في صباح يوم الثلاثاء من كل اسبوع ، ويملا ساعات القصر بنفسه
ويضيّقها بعد ظهر يوم الجمعة من كل اسبوع ، ولا ينسى ان يغلق بباب
القصر الخارجي بنفسه كل ليلة . انه رجل حريص دقيق ، كثير الاهتمام

بالصفائر .

وانتقل ساترويت من الحديث عن السير جورج بارنابي الى الحديث عن زوجته الليدي بارنابي ، وهنا كان حديثه اكثر رقة . قال انه رأها مرة واحدة ، ولكنه شعر في هذه المرة انها ، على جمالها الفاتن ، كانت حزينة السمات ، غاضبة النفس ، ساخطة على حظها في الحياة .

— هل كانت تكره زوجها ؟

— نعم . أشد الكراهة . تزوجته قبل أن تعرف شيئاً عن مبلغ بخله وتقديره وحقاره نفسه . وقد ندمت بعد ذلك ، ولكنها لم تدر ماذا تفعل ، فقد كانت فقيرة ، لا تملك شيئاً الا ما تظفر به من زوجها ، وكان هو حريصاً جداً في منحها ما تريده من مال . وكانت هي شديدة الطمع ، مشغوفة بترف الحياة .

واستطرد ساترويت يقول :

— ولم ار مارتن وايلد قبل المحاكمة . ولكنني سمعت عنه ، كان يمتلك مزرعة صغيرة لا تبعد عن قصر ديرنج هيل غير ميل واحد . والتقت به ذات يوم ، اعني الليدي بارنابي ، ورأت فيه وسيلة للخلاص من زوجها ، فتعلق به بعنف كما يتعلق الفريق بطوق النجاة . حسنا . لم يكن تمة غير نهاية واحدة لعلاقة كهذه . ونحن نعرف الان هذه النهاية . لقد كان هو يحتفظ بخطاباتها اليه بينما كانت هي تمزق خطاباته اليها . ومن نصوص خطاباتها فهمنا ان حرارة حبه لها بدأت تهدأ وتبرد في الاسابيع الاخيرة ، وقد اعترف هو بذلك قائلاً انه كان خاطباً لفتاة جميلة لطيفة ابنة طبيب في قرية ديرنج فيل المجاورة . وقد رأيتها في المحكمة ، شقراء ، هادئة السمت ، رزينة ، ومحظة .. نعم .. كان الاخلاص لمارتن وايلد اهم صفاتها التي لفتت الانظار اليها .

وتوقف ساترويت ببرهة ، ونظر الى المستر كوبن كأنها يلتمس منه التشجيع ليستمر في حديثه ، فلما رأه يبتسم ، استطرد يقول :

— لملأ قرات رسالتها الاخيرة أليه بعد ان نشرتها الصحف . انها الرسالة المكتوبة في صباح يوم الجمعة ، الثالث عشر من شهر سبتمبر ، وكانت مفعمة بالوان من اللوم والعتاب والتهديدات الخفية ، وقد اختتمتها بقولها « ابني ارجوك وأضرع اليك ان تأتي الليلة حوالي الساعة السادسة مساء ، لسوف اترك الباب الجانبي مفتوحاً لك حتى لا يعرف احد انك حضرت الي . ولسوف اكون في غرفة الموسيقي » . وقد ارسلت

هذا الخطاب بواسطة أحد الخدم .

ووقف المister ساترويت ببرهة قبل ان يسترد قائلاً :

ـ وعندما قبض عليه ، انكر مارتن وايلد ، في اول الامر ، انه زارها في الموعد المحدد . ولكنه اضطر للاعتراف امام الادلة التي عثر عليها رجال البوليس . فقد قال هو انه اخذ بندقيته وخرج للرياضة والصيد في النباتات المجاورة ، ولكن رجال البوليس قدموا اليه صور بصمات اصابعه على خشب الباب الجانبي ، وعلى احدى كأس الكوكتيل الموجودتين فوق المائدة بغرفة الموسيقى . وهكذا اعترف انه زار الليبي بارنابي ، وكانت زيارة عاصفة تبادل فيها اللوم والاتهامات بالخيانة والغدر ، واخيراً استطاع ان يهدئ ثائرتها وقد اقسم انه نسي بندقيته مرتکنة على جدار بالقرب من الباب الخارجي وانه ترك الليبي بارنابي على قيد الحياة ، وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة والربع بدقيقة او دقيقتين . ومضى الى بيته فوراً ، هكذا قال . ولكن الادلة اثبتت انه وصل الى بيته في السابعة الاربعاء . وكما قلت الان ، لم تكن المسافة تزيد عن ميل ، اي لا تحتاج الى نصف ساعة لقطعها . أما عن قوله انه نسي بندقيته ، فقد ابى احد ان يصدقه ..

ـ ومع ذلك ؟!

ـ ومع ذلك فليس في هذا اية غرابة ، من وجهة نظري ، فان الانسان عادة يكون في حالة اضطراب نفسي شديد بعد مقابلة عاصفة كالتي حدثت بين الليبي بارنابي ومارتن وايلد . اية غرابة في ان ينسى اي شيء وهو منصرف بعد مقابلة كهذه في الطريق الى بيته ؟

وصمت ساترويت ببرهة اخرى قبل ان يردف قائلاً :

ـ ولكن المهم ليس هذا . لأن الملحمة التالية من الحادث كانت واضحة . فقد سمع صوت الطلقات الناريه في تمام الساعة السادسة والثالث . سمعه الخدم جميعاً ، الطاهية ومساعدتها ، ورئيس الخدم ، وخدمة القصر ، والخادمة الخاصة للبيدي بارنابي . لقد هرعوا جميعاً الى غرفة الموسيقى حيث راواها مكومة على مقعدها جثة هامدة ، لأن الطلقات الناريه اطلقت عليها من قرب ، ومن خلف رأسها ، بحيث نفذت من ججمتها .

ومرة اخرى توقف المister ساترويت عن الحديث ، فقال المister كوبين :

- لقد ادلى الخدم بشهادتهم طبعا !
 - نعم . وكانت شهادة كل منهم مطابقة تماما لشهادة الباقيين .
 - الم يشد أحد عنهم ، أبدا ؟
 - اعتقاد ان خادمة البيت ادلت بشهادتها في التحقيقات الاولية ثم سافرت الى كندا ، فلم تحضر المحاكمة .
 - أه . فهمت .
 ونظر ساترويت بسرعة الى وجه كوين وقد احس ان في لهجته وهو ينطق بالكلمة الاخيرة معنى خاصا ، فقال متحذيا :
 - ولماذا لا تسفر ؟
 وبعد ان هز كتفيه ، قال المستر كوين :
 - 'ولماذا سافرت ؟
 وهنا عاد ساترويت الى حديثه عن القضية قائلا :
 - ولم يكن ثمة شك فيمن اطلق الرصاص . ولكن الخدم لم يعرفوا كيف يتصرفون بسرعة . اذ انه لم يكن بالبيت من يتولى اصدار الامر ، وهكذا مرت لحظات قبل ان يفكروا في استدعاء رجال البوليس تليفونيا ، ولكنهم وجدوا التليفون معطلما عن العمل .
 - اوه ! وجدوا التليفون معطلما ؟!
 - نعم . لا يدرى احد لماذا ؟ لأن الوفاة كانت سريعة ، ولم يكن ثمة امل في انقاذ المجني عليها باستدعاء الطبيب . فلماذا عطل الجنائي التليفون اذا كان العطل مقصودا ؟
 ولم يقل المستر كوين شيئا ، فاستطرد ساترويت يقول :
 - ولم يكن هناك احد ابدا لا يعتقد تماما ان مارتن وايلد هو الجنائي . فباعترافه اثبت انه غادر القصر بعد دقيقة او اثنتين من السادسة والربع مساء ، وقد سمع الخدم اطلاقات النارية في السادسة والثالثة تماما . ومعنى هذا انه كان قريبا من البيت في الدقائق الخمس التي سبقت سماع الخدم للطلاقات النارية . فمن الذي اطلق النار غيره ؟! لقد ثبت ان السير جورج بارنابي كان يلعب البريدج في بيت صديق يبعد عن بيته بضعة بيوت . وقد انصرف عن بيت صديقه في تمام السادسة والنصف حيث التقى به احد خدمه عند بوابة القصر وأخبره بالنها . وليس ثمة اي شك في هذا . أما هنري تومبسون سكرتير السير جورج ، فقد كان في لندن في ذلك اليوم وكان مشتركا في اجتماع خاص بشأن بعض الاعمال

في الوقت الذي اطلقت فيه الرصاصات على الليدي بارنابي . و هتساك سيلفيا دبل ، خطيبة مارتن وايد ، وقد ثبت انه لا شأن لها بالجريمة ، لأنها كانت عندئذ في محطة قرية ديرنج فيل تودع صديقة لها استقلت قطار السادسة وثمان وعشرين دقيقة الذاهب الى لندن . ولم يسبق بعد ذلك غير الخدم . ولكن ما هي البواعث التي تدفع احدهم الى قتل الليدي بارنابي ؟ ومع هذا فقد هرعوا جميرا ، بلا استثناء ، الى غرفه المجنى عليها عندما سمعوا الطلقات النارية ، وعلى هذا لم يبق هناك ادنى شك في ان مارتن وايد هو الجاني .

ورغم هذا كان صوت المستر ساتروبيت يدل على انه غير مقتنع بما يقول .

ومرت فترة من الصمت ، اخذ الرجلان خلاهما يتناولان الطعام وكل منهما مستغرق في تفكيره . وفجأة وضع ساتروبيت الشوكة والسكين من يديه ، وقال :

— كيف يكون الحال اذا ثبت ان هذا الشاب بريء بعد تنفيذ حكم الاعدام فيه ؟

وهز المستر كوين كتفيه ، وقال ساتروبيت :

— ولكن .. لماذا ، كما قلت ، رحالت خادمة القصر الى كندا !؟

— يمكنك ان تعرف لماذا يا مستر ساتروبيت ، بل يمكنك ان تعرف اي مكان في كندا اقمت فيه .

— اعتقاد هذا . فلا شك ان رئيس خدم القصر يعرف ، او سكريتير السير جورج .

وبعد برهة صمت ، اردد قائلًا في تردد :

— ولكن ، ما شأنني انا بهذا كله !؟

— ان هذا الشاب سيموت على حل المشنقة بعد ثلاثة اسابيع على الاكثر .

— اووه . انا اعرف ماذا تعني ! انك تعني اذا كنت ارتتاب في انه لم يقتل المجنى عليها ، فمن واجبي ان ابذل كل جهد ممكن لاثبات براءاته .

ولكن اذا عرفت مكان الخادم في كندا ، فان هذا يقتضي ذهابي اليها .

— ولماذا لا تذهب ؟ انك رجل موفور الثراء ، وحال تماما من اعماء الاسرة ومسئولياتها وكندا بلاد جميلة جديرة بالسفر اليها لمدة اسبوع او اكثر . ثم لا تنس انك بهذا السفر سوف تنتقل من مقاعد المترجين على

هذه المأساة الى قلب المأساة نفسها . فمن يدري ، فلعلك تستطيع ان تجد في أقوال هذه الخادمة ما يثبت براءة ذلك الشاب المسكين .

وذكر ساترويت برهة ، ثم قال :

ـ واذا عدت من كندا ، فain يمكن ان اجده ؟

ـ ليس لي مقر ثابت في الوقت الحاضر ، ولكنني اندرد كثيرا على هذا المطعم . فادا كنت متزوجا عليه مثلثي ، فلا شك اننا سنلتقي حتما . واشتدت انفعال المستر ساترويت ، وسرعان ما هرع الى مكتب شركة كوك حيث استفسر عن مواعيد البوادر التي ستبصر الى كندا ، ثم اتصل تليفونيا بقصر السير جورج بارنابي ، حيث رد عليه رئيس الخدم ، فقال له :

ـ ان اسمي ساترويت ، واتحدث من .. من مكتب توكيلاس قضائية واحد ان اعرف بعض التفصيات عن الخادمة الشابة التي كانت تعمل في الفicer الى عهد قريب .

ـ اتعني لويزا ؟ لويزا بولارد ؟

ـ نعم . نعم !

ـ اخشى يا سيدى ان اعجز عن تقديم اية خدمة لك في هذا الشأن . فقد رحات الى كندا منذ ثلاثة أشهر .

ـ هل يمكنك ان تذكر لي عنوانها هناك ؟

ـ لا اظن . كل ما اعرفه انها تقيم في منطقة جبلية ذات اسم اسكتلندي . آه ، اسم المنطقة « بانف » . وهي ، اي لويزا ، لم تكتب اليانا او الى اي احد رسالة كما انها لم تخبرنا بعنوانها الكامل . ووضع ساترويت السماعة بعد ان شكره . واحس ان روح المقامرة تزداد عنة في اعماق نفسه ، ومن ثم قرر الذهاب الى منطقة « بانف » هذه ، فاذا كانت لويزا هناك ، فلن يدخل وسعا في البحث عنها ، والوصول اليها .

ولشد ما كانت دهشته حين وجد نفسه يستمتع بالرحلة البحريية الى كندا ، وفي منطقة « بانف » عشر بسهولة على محل اقامة لويزا بولارد ، واذا هو يقف امامها بعد يوم واحد من وصوله الى المنطقة .

كانت امراة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، طويلة القامة ، قوية الجسم ، تتم عينها على البراءة والوفاء ، وعن شيء من القباء . وصدقت بسرعة ما قاله عن رغبته في جمع بعض المعلومات

الخاصة بمساوة ديرنج هيل . وقد قالت في هذا الشأن :
ـ قرات في الصحف ان الحكم صدر بادانته . يا للمسكين . انه لامر
محزن حقا .

ورغم انها كانت واثقة من ادانته ايضا الا انها قالت :

ـ كل انسان معرض لارتكاب جريمة كهذه ، وانا لا احب التحدث عن
الموتى بسوء ، ولكنني اعتقد ان الليدي بارنابي هي التي دفعته الى
ارتكاب مثل هذه الجريمة . لعد ابت ان تتركه وشأنه . حسنا ، لقد نال
كل منها عقابه . فهذه شريعة السماء . وكانت اعرف ان شيئا خطيرا
سوف يحدث في تلك الليلة ، وقد حدث فعلا .
ـ وكيف عرفت ؟!

ـ كنت في غرفتي باعلى القصر ، اغير ملابسي ، وحان مني نظر
خارج النافذة فرأيت القطار يمر ، تاركا وراءه سحابة من الدخان ترتفع
الي السماء ، وصدقني اذا فلت ان هذه السحابة ظلت تتسلل حتى
 تكونت منها صورة يد معقوفة الاصابع كانها يد القذر تريد ان تطعن
 بشيء . واحسست بالخوف وانا اقول لنفسي « هذه علامة في السماء ..
 لا بد ان شيئا خطيرا سوف يحدث ! » وفي تلك اللحظة نفسها سمعت
 الطلاقات النارية داخل القصر ، فقلت « آه . لقد حدث الامر الخطير ».
 واندفعت من غرفتي ، وانضممت الى زملائي المجتمعين في القاعة الكبرى ،
 ودخلنا معا الى غرفة الموسيقى ، حيث رأينا الليدي بارنابي مقتولة بطلاقات
 نارية في رأسها ، والدماء متشربة في كل مكان . منظر رهيب . وتحدثت ،
 نعم ، اخبرت السير جورج بارنابي كيف توقعت حدوث شيء خطير كهذا
 حين رأيت هذه العلامة في السماء .. و ..

وطلت تتحدث في موضوعات مختلفة وساترويت ينصت اليها في
 صبر ، ويحاول ان يردها الى الحديث عن المأساة كلما ابتعدت عنه .
 واخيرا ادرك انه ظفر منها بكل ما يمكن من معلومات ، وان حديثها ينم على
 الصدق وسلامة الطوية .

ولما فكر فيما سمعه منها ، وجد انه لم يظفر بشيء له أهمية خاصة ،
 ولكن الشيء الواحد الذي اثار اهتمامه هو ضخامة المرتب الذي جعلها
 تقبل العمل في كندا والرحيل في اسرع وقت من انجلترا . لقد ذكرت
 له ان الذي قام بإجراءات ترحيلها على وجه السرعة ، مدير مكتب تخديم
 يدعى المستر ونمأن ، وهو يقيم في كندا ، وقد حذرها من كتابة اي

رسالة الى زميلاتها او زملائهن في انجلترا « حتى لا توقع نفسها في مشكلات مع ادارة الهجرة ». وقد تقبلت هذه النصيحة منه بلا سؤال او ارتياح .

وقدر ساترويت ان يزور ذلك المدعو المستر ونمأن ، ولم يجد مشقة في العثور عليه او في تبادل الحديث معه . وقد ذكر له هذا المستر ونمأن انه زار انجلترا في عام ما ، وان المستر تومبسون سكرتير السير جورج ادي له بعض الخدمات . وقد شاء ان يرد له الجميل عندما كتب اليه المستر تومبسون منذ ثلاثة اشهر يرجوه ان يجد عملا في كندا للخادمة لويزا بولارد ، وقال له ان السير جورج سيضع بين يديه مبلغا كبيرا من المال ليضيف منه كل اسبوع جزءا على مرتب لويزا ، فيصبح مربنا كبيرا يغريها على البقاء في كندا .

واردف المستر ونمأن قائلا ، وهو يتراخي في مقعده الوثير باسما :
ـ انها المشكلة المتعادة طبعا ، علاقة سريعة بين السيد والخادمة ، ثم يفتق السيد من نزولته ويسعى الى ترحيل الخادمة الى مكان بعيد ، تجنبا للفضيحة .

ولكن ساترويت كان يعرف ان هناك شيئا اخر ، اهم وخطر ، جعل السير جورج بارنابي ، او سكرتيره تومبسون ، يعمل على ابعاد لويزا بولارد من انجلترا بسرعة .

ـ فلماذا ؟ وما هو هذا السبب الخطير ؟
وعاد الى انجلترا ، وهو يحاول ان يعرف هذا السبب بالاستدلالات العقلية والتفكير المنطقي .

ومضى الى مطعم آرليكتشنو ذات ليلة وهو يشعر انه عاد من كندا فاشلا . ولم يكن يتوقع ان يلتقي ، من المرة الاولى ، بالمستر كوين جالسا كالمعتاد الى المائدة في ركن القاعة . ولكنه تنهد في ارتياح عندما رأه ، فجلس قبالته بعد ان تبادل التحية معه ، ثم قال وهو يتناول شطيرة زبد :
ـ كانت الرحلة فاشلة تماما .

ـ صحيبا !!

ـ وهنا حدثه بكل ما سمعه من لويزا بولارد ، ومن مدير مكتب التخدم المستر ونمأن . فلما فرغ ، قال المستر كوين بهدوء :

ـ هل انت واثق بأنك لم تظفر من لويزا بما تريده من معلومات ؟
ـ ماذا تعني ؟!

- حسنا . حسنا ، لقد رسمت لي صورة سريعة عن الحياة في قصر ديرنج هيل ، ولكنك لم تحدثني عن اوصافه من الخارج .

- لا شيء عن اوصافه يثير الاهتمام . انه قصر صغير مبني بالاجر ، يبدو من الخارج ريفيا ، ولكنه من الداخل رائع .. غرفات نوم مزودة بالماء الساخن والبارد والحمامات الخاصة ، والسبايجيد الفاخرة ، والابانات الرائعة ، وهو يقوم في وسط حديقة مساحتها فدانين . ولا يبعد عن لندن الا بمسافة عشر ميلا فقط .

وأنصت كولين في انتباه ، ثم قال :

- اعتقاد ان مواعيد سير القطارات مضطربة في هذه المنطقة ؟

- لا . بل على النقيض ، انها مواعيد مضبوطة بالثانية . هذه حقيقة انا واثق منها تماما .

- والقطار الذي يفوم من محطة قرية ديرنج فيل التي بها المس سيلفيا ديل ، هل يمر في طريقه الى لندن على قصر ديرنج هيل ؟

نعم . لماذا ؟!

- اتذكر انك قلت لي ان المس سيلفيا ديل كانت في وقت الحادث تودع صديقة لها ركبت قطار الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة الذاهب الى لندن ؟

- نعم نعم . ان اقوالها هذه ثابتة في محضر القضية .

- حسنا جدا . الا تستطيع ان تجد علاقة بين هذه الحقيقة ، وبين ترحيل لوبيزا بولارد من البلاد بسرعة عقب وقوع الحادث ؟

ماذا تعني ؟!

- الا يbedo بوضوح ان الذى امر بترحيلها يخشى ان تتحدث في المحكمة بما تحدثت به اليك ؟

- اي حديث تعنى ؟

- الحديث عما رأت .

- وماذا رأت ؟؟

علامة في السماء .

وحملق ساترويت في وجه المستر كولين ثم قال :

- اتؤمن بمثل هذ الالوهام يا مستر كولين ؟

- ربما . فمن يدرى ؟ فلعلها رأت في تلك اللحظة بد العدالة .

- اوه . ما هذا اللغو ؟ لقد اعترفت بنفسها انها لم تر غير سحابة من

دخان القطار الذي كان يمر في تلك اللحظة .
- اي قطار ؟

- لا شك انه قطار الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة الراهن
الى لندن .. ولكن .. ان هذا غير ممكن .. لأنها سمعت في تلك اللحظة
صوت الطلقات النارية داخل القصر ، وقد ثبت بالادلة ان الطلقات النارية
اطلقت في الساعة السادسة والثالث ، لا السادسة والنصف !

- اذن كيف تفسر هذا التناقض في الاوقات ؟
- لعله كان قطارا اخر ؟ بضاعة مثلما ؟

- لو كان الامر كما تقول ، لما اضطر السير جورج او سكرتيره الى
ترحيل لوبيزا بمثل هذه السرعة .
وحملق ساترويت في وجه المستر كوين مندهشا . هذا بينما استطرد
الثاني يقول بهدوء :

- هه هه ما رأيك ؟!

- انتي لا زلت في حيرة . اذا كانت الرصاصات اطلقت على المجنى
عليها في تلك اللحظة التي مر فيها قطار الساعة السادسة وثمان وعشرين
دقيقة ، فلماذا اجمع الخدم على انهم سمعوهما في السادسة والثالث
 تمامًا ؟

- لسبب بسيط ، وهو خطأ في الساعات التي حددت هذا الوقت .
- جميع الساعات ؟! ان هذه مصادفة غير معقولة .
- انتي لا افکر في المصادفة ، وانما في الحادث وقع في مساء يوم
الجمعة ، وقد قلت لي ان السير جورج كان حريرا على ملء ساعات
القصر بعد ظهر يوم الجمعة من كل أسبوع .

وهنا قال ساترويت في رهبة ، وقد ادرك كل شيء :

- اي انه اخر جميع الساعات عشر دقائق ، ثم ذهب ليلعب البريدج ،
ولا شك انه قرأ ، بطريقة ما ، الرسالة التي ارسلتها زوجته الى مارتن
وابلد في الصباح فوضع خطة الجريمة باحكام . وقد غادر بيت صديقه
في السادسة والنصف ، بينما كانت ساعات القصر كلها تعلن السادسة
والثالث فقط . ووصل الى القصر من الباب الجانبي في لحظات ، ووجد
بندقية مارتن الذي نسيها بجوار الباب ، فاستعملها في ارتكاب الجريمة ،
ثم أسرع الى الفابة والتي بها ، ثم عاد الى قصره حيث استقبله احد الخدم
بالنبا . أما التليفون ، نعم ، فقد عطله عمدا حتى لا يستعمله الخدم في

تبليغ الجريمة الى رجال البوليس . لانه لو تم التبليغ تليفونيا سجل رجال البوليس الوقت الحقيقي لوقوع الجريمة ، اي السادسة والنصف تقريبا . وهذه الحقيقة تؤيد قول مارتن وايلد في قوله انه وصل الى بيته في السابعة الا ربعا ، لانه في الحقيقة قادر قصر السير جورج قبل السادسة والنصف بلحظات ، لا بعد السادسة والربع بلحظة او اثنتين . اني ارى الان كل شيء بوضوح . ان لويزا كانت الخطر الوحيد بحديها عن اوهامها الخرافية ، وعما رأته من علامات في السماء ، فقد كان من المحتمل ان يفطن احد الى دلالته مرور القطار في موعده المحدد ، وعندئذ تنهاز خطوة السير جورج من اساسها .

— مدهش .. مدهش ..

— لم يبق غير شيء واحد ابان . وهو ماذا نعمل ؟
— اقترح ان نعرض الامر على المس سيلفيا ديل ، خطيبة مارتن وايلد .
فبدا الشك على وجه ساترويت ثم قال :
— ولكنها .. فناة . ماذا يمكنها ان تفعل ؟
— ان لها والدا واخوة يمكنهم اتخاذ الخطوات المناسبة .
— اه . هذا صحيح .

وبعد وقت وجيز ، كان ساترويت جالسا مع الفتاة سيلفيا ديل يقص عليها الامر كله دون ان تمقاطعه او تلقي عليه سؤالا ، وانما كانت منتبهة اليه بكل حواسها وتفكيرها . فلما فرغ ، نهضت قائلة :
— يجب ان استقل الان سيارة ماجورة .

— لماذا ؟ ماذا تنوين ان تفعلي يا ابنتي العزيزة ؟
— اني ذاهبة الى السير جورج بارنابي .
— هذا مستحيل . هذه خطوة خاطئة جدا . اسمحي لي ...
وكان يتواكب بجانبها ، وقد سمح له بأن يتحدث اليها بما يريد ،
وابا يركب معها السيارة الماجورة ، ولكنها كانت مصممة على تنفيذ خطتها ، فلما توقفت السيارة الماجورة أمام مدخل البناء التي يقع فيها مكتب اعمال السير جورج بارنابي ، هبطت منها ، تاركة ساترويت فيها ،
ثم عادت بعد نصف ساعة وهي تبدو متعبة ، مشعرة الشعر ، تترافق خصلات شعرها الذهبي كازهار ذاتلة . واستقبلتها ساترويت في قلق .
ولكنها قالت له بصوت هامس وهي تترافق في جلستها وتغمض عينيها :
— لقد انتصرت .

فهتف قائلاً :

ـ ماذا ؟ ماذا فعلت ؟ ماذا تقولين ؟

فأعادت في جلستها ، وقالت :

ـ أخبرته أن لوبيزا بولارد ذهبت إلى رجال البوليس وذكرت قصة العالمة التي رأتها في السماء ، وقلت له إن رجال المباحث يقومون بتحرياتهم ، وقد شوهدوا يتسللون حول قصره ، ثم يخرجون منه بعد السادسة والنصف بالحظات . وبينت له إن أمره قد اكتشف ، وإن خطته في ارتكاب الجريمة قد انفضحت . وانهارت اعصابه تماماً . ولكنني بادرت وذكرت له أنه لا يزال أمامه متسع من الوقت للهرب ، وإن رجال البوليس لن يأتوا للقبض عليه قبل ساعة أو ساعتين ، وأكملت له ابني إذا حصلت منه على اعتراف مكتوب بأنه قتل فيفييان بارنابي ، فلن أحول بينه وبين الهرب ، أما إذا رفض ، فسونه أصرخ واجمع عليه سكان البناء وأجعلهم يمنعونه من الفرار بعد أن يخبرهم بالحقيقة كلها . وقد بلغ الفرع به حداً يجعله لا يدرى ماذا يفعل أو ماذا يقول . وأنت لا تدري أو لعلك لا تدري ماذا يمكن أن يفعل الفرع باعصاب أي إنسان . وهكذا كتب الاعتراف ووقعه بامضائه قبل أن يدرك هول ما فعل .

ثم مدت يدها إلى ساترويت بالاعتراف المكتوب ، واردفت قائلة :

ـ خذه ، خذه ، فانت تعرف ماذا ينبغي ان تفعل به حتى يطلقوا سراح مارتن .

وصاح ساترويت ، وهو لا يكاد يصدق عينيه :

ـ عجبًا ! انه وقمه بامضائه حقاً ؟

ـ لا عجب في هذا ، فإن القاتل عادة يكون محدود الذكاء رغم ما قد يبدو من احكام خطته ، والشخص المحدود الذكاء اذا اضطرب وارتباك ، فإنه يخطيء في تصرفاته ثم يندم بعد ذلك .
ولما رآها ترتعش ، قال لها :

ـ أنت في حاجة الى كأس شراب لتهديئي من دواعك ، انتي اعرف مطعمًا جميلاً يمكننا ان نجلس فيه قليلاً .. انه مطعم آرليكشينو هل تعرفيه ؟

فهزت رأسها . وأوقف ساترويت السيارة الماجورة أمام المطعم ، ثم دخله مع الفتاة وهو يتمعني ان يجد المستر كوين في مكانه . ولكن المعمد كان خاليًا منه .

وقالت سيلفيا حين رأت امارات الاستثناء تبدو على وجهه :
ـ ماذا حدث ؟

ـ لا شيء . كنت أتوقع ان التقى بصديق هنا . ولكن لا بأس ،
فلا شك اني سأراه مرة أخرى ذات يوم .

الفصل الرابع

بيت الاسرار

كان المستر ساترويت يقضي - كالعتاد - في كل صيف ، بضعة اسابيع في جزيرة كابري . وكانت عادته في اكثر الايام ، عند الغروب ، ان يمضي في ذلك الطريق الذي تحف به الدور الصغير البيضاء الراقدة تحت ظلال النخيل ، ومنها الى الشاطئ الصخري ، ومن الشاطئ الى طريق صاعد بين صفين من اشجار السرو ، حيث ينتهي عند دببة يقوم عليها قصر صغير تحيط به حديقة واسعة يفوح منها شذا الورد والازهار العاطرة .

وعلى بوابة حديقة هذا القصر ؛ كان يقف البستانى العجوز ، الاسپاني الجنسية ، مانويل . وكان من عادته ان يقدم لكل عابر من الرجال وردة نافرة ، ولكل عابر من السيدات باقة جميلة من الزهور ، ثم يضع في

جيشه : مع كلمة شكر رقيقة ، ما يوجد به الرجال والنساء .
وكميرا ما كان يحلو للمستر ساترويت ان يتخيّل سكان ذلك القصر
الذي لم ير فيه بابا او نافذة مفتوحة ابدا ، في يوم من الايام ، وكانت
اعذب خيالاته : ان يتصور فيه مفنية اوبرا عالمية ، او راقصة باليه
مشهورة ، او ممثلة كان اسمها يملا الاذان ، وجمالها يملأ العيون ، ثم
قررت ان تعتزل عالم المجد والاضواء بعد ان امتد بها العمر ، فانطوت على
نفسها في هذا القصر الصغير ، حتى لا يرى احد ماذا فعلت الاعوام بذلك
الجملان الذي طالما بهر العيون واسر القلوب .

وللمرة الالفة - او اكثر - راح ينظر في فضول شديد - الى نوافذ
القصر الصغير ، دون ان يدرى هل هو خال تماماً ام ان به تلك الساكنة
التي خلق حولها اطياف خيالاته . وانخراطاً انحدر في معر بالحقيقة الى
ذلك المرتفع الصغرى الرهيب الذي يطل على مياه البحر في منطقة
ثانية الموج دانيا . وكان كلما جلس على ذلك المرتفع ، تذكر ذلك السباح
الانجليزي الذي غامر ، منذ اعوام عديدة خلت ، بالقفز منه الى المياه
الشائكة ، ولكنه عجز عن المقاومة ، نهاد غريقا .

وتحولت افكاره الى الحياة والموت . الحياة ... والموت ! ما هي
الحياة ، وما هو الموت ؟ هل هو حقاً يحيا الان ، ام انه ميت يعلم ، ام
انه سوف يحيى بعد ان ينتقل الى عالم اخر ؟
وتنبه من افكاره هذه على صوت وقع اقدام خفيفة وراءه ، ثم على
صوت رجل يقول : « اللعنة !! » .

والتفت وراءه ليرى رجلاً في منتصف العمر ، ينظر اليه في دهشة
واستياء . وتعرف المستر ساترويت عليه فورا ، اذ كان قد رآه ينزل
في اليوم الاسبق بنفس الفندق الذي ينزل هو فيه ، وكان هناك ما في
مظهره وتصرفاته قد لفت انتباذه اليه . فرغم انه ، اي ذلك الرجل
الانجليزي ، كان قد تجاوز الأربعين من عمره ، فقد كان يبدو كأنه في
ميعة الشباب والصبا ، ومن ثم كان ساترويت يقول لنفسه كلما رآه :
« هذا الرجل من الاشخاص الذين يعيشون طيلة اعمارهم اطفالا » .
كان ممتليء الجسم بعض الشيء ، طويلا ، يتم وجده على انه لم
يحرم نفسه يوما من اطياق الحياة ، ولكن شيئاً ما في عينيه العسليتين
كان يدل على حزن عميق او اضطراب او قلق مغزون بالدهشة والتساؤل .
وتنبه ساترويت من افكاره على صوت الرجل ، وهو يقول له بلهجته

اعتذار وارتباك :

- انتي آسف . فالواقع اني دهشت وفوجئت . فما كنت اتوقع ان ارى احدا في هذا المكان المنعزل .

فترجح ساترويت من مكانه قليلا ، كائنا يدعو الرجل الى الجلوس بجانبه ، فلما قبل هذا الدعوه ، وجلس ، قال له :

- الواقع انه كان منعزلا فعلا .

- ومع ذلك فكلما جئت اليه ، وجدت فيه .. شخصا ما . وكانت نبرات صوته تنم على الضيق والاستياء .. ترى لماذا ؟!

وهز ساترويت كتفيه ، وهو يقول :

- اذن فقد جئت اليه من قبل ؟

- كنت هنا مساء امس ، بعد العشاء .

- احقا ؟ كنت أظن ان بوابة الحديقة تغلق بعد العاشرة مساء .

- نعم .. ولكنني تسلقت سياجها .

- وهل وجدت احدا هنا في مثل هذا الوقت ؟

- نعم .. وكان يرتدي ثوبا تذكرني .

- نعم .. ثوبا كالذي يرتديه المهرجون ، والذي يسمى «هار ليكوبين» فنظر اليه ساترويت في دهشة وانفعال ، ثم قال متسائلا :

- ما هذا ؟!! ..

- ان زوار الفندق يرتدون عادة مثل هذه الملابس التذكرية في الحفلات الراقصة .

- اه !! .. نعم .. هذا حق .

- لقد ادهشنى هذا الرجل بظهوره المفاجيء ، ثم باختفائه المفاجيء ، وكأنه شبح يظهر ويختفي دون ان يعرف احد من اين جاءه والى اين ذهب . لقد خيل الي انه جاء من البحر .

ونظر ساترويت الى الهاوية العميقه التي تنتهي بعياه البحر ، بينما اردف الرجل قائلا :

- ولكن هذا مجرد وهم بطبيعة الحال ، فليس في هذا المرتفع الصخري مكان تقف عليه ذبابة . انه هاوية تؤدي .. تؤدي الى النهاية في لحظة وهو ايضا مكان نموذجي لارتكاب جريمة قتل .

وحملق الرجل في وجهه مندهشا ، ولكنه لم يلبث ان غمم قائلا :

- اه .. نعم .. نعم .. مجرد دفعة باليد ، ثم ينتهي كل شيء .

وخيّم الصمت على الرجلين . واستغرق كل منهما في افكاره .
وفجأة قال الرجل الغريب كأنما يحدث نفسه :
— ما جدوى كل هذا ؟ لماذا نحيا ، ولماذا نموت ؟
ونظر إليه ساترويت دون أن يقول شيئا ، فاستطرد الرجل يقول :
— سمعتهم يقولون أنه ينبغي أن يبني كل رجل بيته ، وان يزرع
شجرة ، وان ينجب ولدا .

ثم صمت برهة قبل ان يردف قائلا :
— أعتقد اني وضعت ذات يوم بذرة ابن .
واضطرب وجه ساترويت ، وقرر ان يعرف من امر هذا الرجل
الشاب كل ما يمكن ان يعرفه . ولم يجد ثمة مشقة في هذا . فما لبث
هذا ان راح يفضي بالحديث عن نفسه ، وكأنما يجد في الافضاء راحة من
شيء يثقل عليه .

ان اسمه انطوني كوزدين ، وان حياته صورة مطابقة لما تخلبها المستر
ساترويت . حياة رجل ورت في شبابه ثروة طيبة تدر عليه ريعا سنويا
لا يأس به . وعاش بهذا الريع حياة اقرب ما تكون الى الفراغ والترف .
اصدقاء كثيرون ، وبماهيج متواتلة من الحياة ، ونساء كثيرات . حياة
يمكن ان يقال عنها بصراحة : « حياة بوهيمية » ولكن ساترويت قال
لنفسه : « ولكن هناك انواعا من الحياة اسوأ من هذه بكثير » .
ثم جاءت النهاية .

جاءت اولا غامضة مبهمة . لقد احس ذات يوم باللم بسيط . ونصحه
الطيب بأن يعرض نفسه على اخصائي في شارع هارلي ستريت . ومع
مرور الايام عرف الحقيقة تدريجيا حين اخذ الاطباء ينصحونه بالحبابة في
هدوء وترفق ، وعدم اجهاد بدنه او اعصابه . وانتهى الامر بأنه عرف ان
الفترة الباقية من عمره لا تزيد على ستة اشهر .

واستدار انطوني بعينيه الملتئتين بالتساؤل والقلق والدهشة ، ونظر
إلى ساترويت ، كأنما يقول له : « ما رأيك » . ولم يجد ساترويت ما
يقوله ، فاستطرد الرجل الشاب قائلا : انه جاول جهده ان ينسى اقوال
الاطباء ، وأن يمضي في حياته كالمعتاد ، ولكنه ادرك بعد أيام معدودة ان
هذا غير ممكن ، فان اصدقائه ، وصديقاته ، بدأوا في الانصراف عنه .
انهم يريدون الحياة في بهجة وفرح ، ويحبون الصديق المتباعد الجيب
بالمال ، والقلب بالحياة ، لا الانسان الذي يعيش بينهم في كفن .

واخيرا قرر ان يغادر وطنه ويأتي الى هذه الجزيرة .
وقال ساترويت وهو يحاول ان يجد ما يقوله :
ـ ولماذا هذه الجزيرة بالذات ؟ هل سبق ان جئت اليها ؟
ـ نعم .. وانا شاب في العشرين ، او الثانية والعشرين من عمري .
وفجأة المفت وراءه ، وارسل نظرة سريعة الى القصر الصغير القائم
فوق الربوه ، ثم قال :
ـ انتي اتذكر هذا المكان . فان خطوة واحدة منه تؤدي بالانسان الى
النهاية .

ـ المذا جئت امس .. والليلة ؟
فنظر انتوني كوردين اليه في استحياء ، ثم قال :
ـ اووه .. اعتقد ان هذا الامر لا يخصك في شيء .
ـ لند وجدت ليلة امس شخصا ، ووجدتني اليوم ، وهذا يعني ان
حالي انقضت مرتين .
ـ يمكنك ان تقول ماشاء . ولكن اللعنة على كل شيء . انه
حياتي . وانا حر التصرف فيها .

ـ هذا تعبير معروف اصبح الان على كل لسان .
واعتدلت لهجة انتوني وهو يقول :
ـ طبعا طبعا .. انتي ادرك حقيقة موقفك مني . فمن واجبتك ان
تنصحي وان تخفف عنني ، وان نسبت الامل في قلبي . فهذا واجبتك حتى
لو كنت تدرك تماما انتي على حق . ولكن اليس من الافضل ان أضع نهاية
سرعمة حاسمة لحياتى بدل هذا الانتظار الرهيب للموت ؟ .. بدل ذلك
العذاب المنتظر في الايام او الاسابيع السابقة على الموت ! انتي لن تكون
آسفا على شيء ، لانه ليس لي في الحياة من اهتم به .
فقال ساترويت بسرعة :

ـ ولو كان ذلك في الحياة من بهمك أمره ..
ـ انتي لا ادرى . ولكنني مع هذا كنت ارى ان هذه الطريقة افضل .
وعلى اية حال فليس لي ...
نم توقف عن الحديث فجأة . فقال له ساترويت :
ـ البيست لك .. حبيبة ؟!
ـ عرفت نساء كثيرات . ولكنها كانت كلها علاقات عابرة ، الا ..
ومرة اخرى صمت فجأة ، ثم اردف :

— تمنيت لو كان لي ابن .. ولكن .. ما جدوى هذه الامنية ؟ حتى لو تحققت ، فان الفترة الباقية من حياتي لا تزيد على ستة اشهر ، بل خمسه اشهر وستة ايام على التحديد .

— ان الوقت ، مثل كل شيء ، مسألة نسبية . فمن يدرك ان هذه الاشهر الستة قد تكون اجمل شهور في حياتك كلها ، وأخلفها بالبهجة العميقه الحقيقية ؟ .. هذا على فرض صحة اقوال الاطباء .

ببدا عدم الاقتناع على وجه انتوني كوزدين ، وهو يقول :

— لو كنت في موضعى ، وهل في مقدورك ان تحتمل هذه الشهور الستة ؟

فضحك ساترويت ، وقال :

— اولا ينبغي ان اكون شجاعا جدا لواجهة هذه الاشهر الاخيرة من حياتي ، واخشى ان اقول اني لا امتع بمثل هذا اللون من الشجاعة ، وانا ثانيا ...

— حسنا ؟

— احب دائما ان اعرف ماذا يخبيه الغد لي .

وه هنا نهض انتوني وارسل ضحكة جوفاء ، وقال :

— حسنا يا سيدي . اشكر لك هذه الفترة الطيبة التي اتحت لي فيها فرصة الحديث . ولست ادرى لماذا تحدثت . والآن ، اذا سمعت عن حادث وقع لي ، فارجو الا تخبر احدا انه حادث مدبر مقصود . ولكن لا .. يمكنك ان تقول ما تريده ، فهل يضرر الانسان ما يقال عنه بعد ان ينقض يديه من الحماة ؟

تم اردد قاتلا وهو يهم بالانصراف :

— انى لا اريد الليلة ان يقال عنك انك دفعتني بيديك من فوق هذا المرتفع ، ولا بأس من تأجيل هذا الانتحار الى غد او بعد غد . فليس هناك ما يدعوا الى التعجل . حسنا . ارجو ان اراك الليلة في الفندق ، بعد العشاء .

وبعد انصراف الرجل ، بقي ساترويت منفردا بنفسه ، ينظر الى الافق البعيد ، تم يقول لنفسه :

« والآن .. ماذا بعد ؟ »

وآخر نهض واقفا ، ثم استدار نحو الربوة ، ومضى في طريقه اليها ليخترق حدائق القصر ، ومنها الى الطريق المنحدر نحو الفندق .

ولكنه توقف فجأة امام القصر الصغير ، وراح ينظر في شفق الفروب الى نوافذه المغلقة . وعادت اطيات خياله تحوم حول تلك « الراقصة او المنشية » التي لعلها تقيم فيه بعيدا عن اضواء المجد والشهوة ، بعده ان اخذ جمالها في الدبول ، واستبد به الفضول ، فاذا هو يتقدم نحو كومة من الاحجار وينسلقها الى نافذة قريبة ، ثم يجدب مصراها الخشبي كأنما يختبره . ولشد ما كانت مفاجاته حين وجد المصرا يسجّب له ، وينفتح ، واذا هو يتراجع حين رأى امامه سيدة في ملابس سوداء ، وتطي رأسها بمطرف حريقي اسود ، جامدة الوجه ، تنظر اليه في صمت .

وارتبك ساترويت ، وراح يعتذر بكل ما طرأ على ذهنه من كلمات ايطالية وفرنسية واسبانية قليلة ، وفيما هو يتراجع في خجل ، اذا به يتوقف حين سمع المرأة تقول له بصوت جاد كالطلق الناري :
— تعال .

وبلغ من قوة اللهجـة الـامـرـة ان تـوقـفـ ثم عـادـ اـدـرـاجـهـ كالـكـلـبـ الـذـيـ يـلـبـيـ ،ـ فـيـ ذـلـكـ ،ـ اـمـرـ سـيـدـهـ .ـ حـتـىـ اـذـاـ وـقـفـ مـتـسـمـرـاـ اـمـامـ النـافـذـةـ ،ـ قـالـتـ لهـ بـصـوـتـ اـقـلـ حـدـةـ :

— هل انت انجليزي ؟

وعاد ساترويت يقول معتذراً :

— لو كنت اعرف انك انجليزية ، لاحسنـتـ الـاعـتـدـارـ بالـلـفـةـ التـيـ اـتـقـنـهـ ،ـ اـنـتـ اـعـتـدـرـ بـاخـلـاصـ عـمـاـ فـعـلـتـ .ـ اـنـ الفـضـولـ وـحـدـهـ هـوـ الـذـيـ دـفـعـنـيـ اـلـىـ هـذـهـ النـافـذـةـ .ـ وـلـمـ اـكـنـ اـعـرـفـ اـنـهـ سـهـلـةـ الـفـتـحـ .ـ وـالـوـاقـعـ اـنـيـ كـثـيرـاـ مـاـ تـسـأـلـتـ عـمـاـ فـيـ دـاخـلـ هـذـاـ القـصـرـ .

وهـنـاـ أـرـسـلـتـ ضـحـكـةـ عـمـيقـةـ عـذـبةـ ،ـ وـقـالـتـ :

— اـذـاـ كـنـتـ حـقاـ تـرـيـدـ هـذـاـ ،ـ فـيـحـسـنـ اـنـ تـتـفـضـلـ بـالـدـخـولـ لـتـرـىـ بـنـفـسـكـ .

ثم تـنـحـتـ لـهـ جـانـبـاـ ،ـ فـدـخـلـ سـاتـروـيتـ ،ـ وـهـوـ اـشـدـ مـاـ يـكـونـ اـبـتـهـاجـاـ ،ـ وـوـجـدـ نـفـسـهـ فـيـ غـرـفـةـ ذاتـ اـثـاثـ فـاـخـرـ ،ـ وـلـكـنـ الغـيـارـ كانـ مـتـراـكـماـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ فـيـهـاـ .

وـقـالـتـ المـرـأـةـ :

— اـنـاـ لـنـ نـجـلـسـ هـنـاـ ،ـ لـانـنـاـ لـاـ نـسـتـعـملـ هـذـهـ الغـرـفـةـ .

ثم عـبـرـتـ مـعـهـ بـهـوـاـ كـبـيرـاـ ،ـ وـمـضـتـ بـهـ اـلـىـ غـرـفـةـ اـخـرـىـ فـيـ الجـانـبـ

الخلفي من القصر ، تطل على مياه البحر . وكانت ايضا فاخرة الاناث ، ولكنها نظيفة مريحة .

ودعنه الى الجلوس على مقعد وثير ، وهي تقول :
— لسوف تشرب الشاي معي . انه شاي جيد تحسن خادمتى
صنعه .

ثم مضت الى باب الفرفة واصدرت تعليماتها باللغة الاسپانية ، وبعدئذ عادت وجلست امامه . واستطاع عندها ان يتأملها بامان . كان اول شعور خامرها وهو يراها احساسه العميق بالشیخوخة امام فورة انوثتها ، ووفرة حيويتها ، ونضارة مظهرها ، وقوة شخصيتها . كانت طويلة القامة ملفوفة الجسم ، خمرية اللون ، واسعة العينين ، رائعة الجمال ، رغم انها في نحو الاربعين من عمرها .
وكان مجرد وجودها في الفرفة يجعل ضوء الشمس الغارب كأنه ضوءها وهي في سمت الضحى ، باهرا ، ساطعا ، وكان مجرد الجلوس امامها يشعر الانسان بهذه المتعة التي يحسها في يوم بارد وهو جالس امام مدفأة تطرد عنه البرد وتماؤه بهذا الدفء الممتع .
وقال لنفسه :

« لقد بلفت وفرة حيويتها ان راحت تنشرها حول من يجلس معها ». ومع هذا كله كان يشعر بشيء من الخوف ، لانه لم يكن يميل ابدا الى المرأة ذات الطابع المسيطر .

وقالت له ، بعد ان تأملته بدورها طويلا :
— انتي سعيدة بحضورك ، لأنني كنت في اشد الحاجة الى من أتحدث معه هذا المساء . ويبدو لي انك من الاشخاص الذين يطمئن الانسان في حديثه معهم .

واقبلت الخادمة بالشاي ، وبعد انصافها ، قال هو على سبيل المحادثة :

— اتقيمين هنا ؟
— نعم .

— دائمًا !! ان القصر دائمًا مغلق ، او هكذا يبدو لي .
— انتي اقيم هنا معظم اوقات السنة دون ان يعرف ذلك كثير من الناس ، لأنني استعمل فقط هذا الجانب الخلفي من القصر .
— وهل هو ملك لك منذ .. منذ امد بعيد ؟

— منذ الاثنين وعشرين سنة تقريباً . وقد عشت فيه عاماً كاملاً قبل ذلك التاريخ .

— هذه مدة طويلة جداً !

— العام ام الاثنين والعشرين عاماً ؟

— ان هذا يتوقف ...

فأومات برأسها ، وقالت :

— نعم .. ان هذا يتوقف على نوع الحياة نفسها . والواقع انها

— من هذه الوجهة — فترنان منفصلتان تماماً . ولست ادرى ايهما اطول من الاخرى . وحتى الان لا ادرى .

وبعد برهة من الصمت ، عادت تقول ، وهي تبتسם :

— لقد مضت فترة طويلة لم اتحدث فيها الى احد . ويلوح لي انك من الاشخاص الذين يحبون ان يعرفوا اسرار الفيزي .. لا لا .. لا تعتذر .
فان الحياة احياناً تكون مهمة لا سيما اذا عاش الانسان ينتظر شيئاً ..
ويطول انتظاره ..

فابتسם ، وقال :

— يخيل لي انك لست من الذين يقفون على هامش الحياة وينتظرون .
فإنك واحدة من اللائي رأى القدر ان يجعلهن في خضم معركة الحياة ..
ان يكن صاحبات الادوار الرئيسية في مسرحيات الحياة .

— ما اعجب ما تقول !

— ومع ذلك فانا واثق مما اقول . فلا شك ان في حياتك الشيء
الكثير من التجارب ، او ربما من المأساة .
وضاقت عينها قليلاً وهي ترسل نظراتها نحو مياه البحر ، ثم
تقول :

— لو انك مقيم هنا منذ فترة طويلة ، لاخبرك شخص ما عن السباح
الانجليزي الذي غرق في اسفل ذلك المرتفع الصخري . ولحدثك من
شبابه وقوته وجماله ، وعن زوجته الصغيرة التي وقفت على قمة المرتفع
وشهادته وهو يغرق .

— لقد سمعت شيئاً عن هذه المأساة :

— ذلك الشاب كان زوجي ، وهذا القصر كان ملكاً له . وقد تزوجني
وجاء بي الى هنا وأنا في الثامنة عشرة من عمري . وبعد عام مات غريقاً .
حملته الامواج ودفعت به الى الصخور المستونة ، وظللت تضربه فيها حتى

مزقت جسده .

وفوجيء المستر ساترويت بحديثها ، وحاول ان يقول شيئاً ، ولكنها استطردت تقول وهي نحدق النظر في وجهه :

ـ لقد تحدثت عن المأسى ، فهل سمعت عن مأساة اقسى من هذه ؟ زوجة شابة . لم يمض على زواجها من حبيبها غير عام واحد ، ثم اذا هي نفف ذات يوم ، عاجزة تماماً ، وترى حبيبها وشريك حياتها ، وهو يصارع الموت من اجل الحياة ، واخيراً يصرعه الموت في ابشع صورة ؟

فقال ساترويت في تأثر عميق :

ـ هذا فظيع .. نعم .. اني اتفق معك في انها مأساة ليس لها مشيل .

فارسلت ضحكة عالية وهي تتراجع برأسها الى الوراء ، ثم قالت :
ـ بل هناك ما هو ابشع واظفع من هذه الصورة .. انها صورة الزوجة الشابة وهي واقفة فوق المرتفع ترجو وتتباهى الى الله ان .. ان
نفرق زوجها .

ـ يا الله السموات ! انك لا تعنين ! ..

ـ نعم .. هذا ما اعنيه تماماً . لقد كنت راكعة هناك على المرتفع ابتهل الى الله . وكان الناس جميعاً يحسبونني ابتهل لنجاته ، ولكنني على التقىض ، كنت اضرع الى الله ان يخلصني منه ، وان يحرراني في الوقت نفسه من هذه الامنية الشريرة . كنت اقول : « طهر نفسى يا ربى من رغبة رؤبته ميتاً » . ولكن لم يكن ثمة فائدة ، فقد كنت اتعنى موته بكل ذرة من كيانى .

وصمتت برهة قبل ان تردف قائلة بصوت اكثر رقة :

ـ اليس هذا فظيعاً ؟ اليس هذا من نوع الانفعالات التي لا يمكن للمرء ان ينساها ؟ نعم ! لقد بلفت سعادتي ذروتها حين علمت انه مات ، وانه لن يستطيع العودة لتعذيبى .

فتمتم ساترويت مصدوماً :

ـ يا طفلي المسكينة !

ـ نعم .. كنت في ذلك اصغر من ان بحدث لي شيء رهيب كهذا .
ان مثل هذه المأسى ينبغي ان تحدث ونحن اكبر سنا ، واكثر تجربة ، اي عندما تكون مستعدين لاحتمال فظاعتها . ولم يكن احد يعرف ماذا كنت

اعانى منه . لقد حسبيه عندما رأيته اول مرة ، شابا رائعا . ولشد ما احسست بالزهو عندما طلب يدي للزواج ، ولكنني فوجئت ، بعد زواجنا ، بوحشيتها ، كان يغضب مني لانفه سبب . ولم يكن ثمة شيء اقوم به ، يرضيه . وقد بذلت كل جهد لارضائه . كان يحلو له تعذيبى ، ويلتمس السعادة من افراعي . وكان يبدل كل جهوده لابتکار الوسائل التي تشقى حياتى وتملا ايمى بالرعب . ولا استطيع ان اذكر لك شيئا منها ، لكن يكفي اني ظننته مجنونا . و كنت هنا بمفردي ، في قبضة يده ، وتحت رحمته ، فاتخذ من تعذيبى هواية له . وكان أسوأ ما في الامر انى كنت حاملا ، وقد فعل بي شيئا جعل الطفل يولد ميتا . طفلني انا .. مات اثناء الوضع ، وقد كدت انا ايضا اموت ، ولكنني لم امت وتنبت الموت ، ولكن لم امت لكي اتعذب .

وتمتم المister ساترويت بكلمات عزاء مبهمة ، بينما استطردت هي قائلة :

- واخيرا جاء الخلاص .. بالطريقة التي حدثتك عنها . فان بعض الفتيات المقيمات في الفندق سخرن منه قاتلات انه لا يستطيع القفر من ذلك المرتفع الى الماء . وأراد هو ان يثبت قوته وبراعته رغم ان الجميع اكدوا له ان هلاكه في هذه المفارقة . ولكنها كان شديد الزهو والفروء . وقد شهدته وهو يقوم بالمقامرة ، ثم وهو يفرق . وسعادت بالخلاص منه . وليرفر لي الله .

ومد ساترويت يده التجليلية الجافة ، وضغط بها على يدها وقد خيل اليه ان آثار الزمن قد تلاشت عن وجهها ، واذا هي قد ارتدت الى التاسعة عشرة من عمرها .

وعادت تقول :

- ولم اصدق الامر من فرط سعادتي . فقد اصبح القصر ملكا خالسا لي ، وغدا في مقدوري ان اعيش فيه دون ان يعلبني او يشقيني احد . وكانت في حياتي يتيمة ، ليس لي اقارب يهمهم امرى . وقد ادى هذا الى تبسيط حاتى ، فعشت بعد مصرعه ، كاتي في الجنة . نعم . كنت اسعد انسانة في الوجود . وكان يكفيه ان اشعر بالسعادة حين انكر اني اقضى ايمى بلا الام او احزان او خوف مما سي فعله بي بين لحظة وآخرى . نعم .. كنت كاللدي يعيش في جنة الخلد .

ولما توقفت عن الحديث ، قال المister ساترويت :

- وبعد ذلك !؟

- اعتقد ان الانسان بطبيعته لا يقنع بشيء . فبعد اشهر من هذه الحياة الماهنة بدت أشعر بالعزلة ، والوحشة . بدت اذكر في طفلي الذي مات . فلو انه كان لي طفل فقط ! كنت اريده طفل ، ولعبة اسلی بها . كنت اهفو بكل كياني الى شيء او الى شخص اسلی به . وقد تعتبر هذا حماقة صبيةانية . ولكن كان هذا هو الواقع .

- نعم .. نعم .. انتي افهم ..

- من العسير ان اشرح لك ما حدث بعد ذلك بالتفصيل . كان تمة شاب انجليزي يقيم في الفندق ، وفي ذات ليلة وصل مصادفة الى حديقة القصر ، وكانت ارتدي ثوبا اسبانيا ، فحسبني فتاة اسبانية من قرية مجاورة . وخطر لي ان اسلی وانظاهر باني اسبانية حقا ، ومثلت دورى بمهارة رغم ان اسبانيتي كانت رديئة ، ولكنه لم يكن يعرف منها غير عبارات قليلة . وزعمت له ان القصر ملك لسيدة انجليزية استفاراطية سافرت الى منطقة نائية . وقلت انها هي التي علمتني لغتي الانجليزية البسيطة ، ولشد ما كان سروري وانا امثل دور المتحدة بلغة انجليزية سقية . وبدا هو في مفازتي ، واستجبت له ، وتظاهرت معه ان القصر ملك لنا ، واننا تزوجنا في تلك الليلة ، وجيئنا للإقامة فيه . واقترحت ان ننسال الى القصر عن طريق احدى التوائف سنس النافذة التي دخلت انت منها . وكان مصراعها مفتوحا من الداخل . ودخلنا في حذر الى الفرقة التي كانت ، كما هي الان ، مهملة ، يملوها الغبار ، وعلى الجملة كانت لحظات جميلة مليئة بالانارة والانفعالات .

وتوقفت فجأة عن الحديث ، ونظرت الى ساترويت طويلا كأنما تائمس منه ان يدرك شعورها ويلتمس لها العذر . ثم استطردت تقول : - كان كل شيء يبدو رائعًا ، وكانت نعيش في اسطورة علبة ، او في قصر مسحور . وكان اجمل ما في الامر كله انه كان يلوح لي خياليا لا اثر فيه للحقيقة .

وأوما ساترويت برأسه ، بينما استطردت هي تقول :

- وكان يبدو لي شابا انجليزيا من الطراز العادي ، قادر بلاده في رحلة قصيرة للمتعة والتزهه . ولكنه كان لطيفا ، مرحبا . وقد تمادينا في القيام بدور الزوج والزوجة ، اتفهم ؟
وبعد برهة من الصمت ، عادت تقول :

– نعم تمادينا في القيام بهذا الدور . وعاد هو في صباح اليوم التالي إلى الحديقة ورأيته من خصاصات نافذة غرفة نومي ، ولم يخطر بياله طبعاً انتي مقيمة في القصر ، فقد كان يحسبني فتاة إسبانية قروية ، وكان قد طلب مني ان أقابله في اليوم التالي ، ومن ثم راح يتلفت حوله وينتظر . ولم اكن من ناحيتي انوبي ان أكرر المقابلة . ولكن بدا لي انه كان يشعر بالقلق من اجلني ، ومما فعل بي في الليلة الماضية . نعم .. كان تابباً لطيفاً رقيق الاحساس .

وتوقفت مرة أخرى عن الحديث قبل ان تستطرد قائلة :

– ولم يعد في اليوم التالي ، غادر الجزيرة . ولم أره بعد ذلك . ولكن طفلي منه ولد سليماً بعد نسعة أشهر . وكانت في خلال هذه الأشهر أسعد انسانة في الوجود ، وفاضت كأس سعادتي عندما حملت لأول مرة الطفل ، طفلى أنا ، بين ذراعي . وتمتت في تلك اللحظات لو اني سالت ذلك الشاب الانجليزي عن اسمه ، حتى اسمي الطفل به . فقد بدا لي اني ظلمته في احتجاظي بالطفل لي وحدي . ولكنني كنت في اعماق نفسي اشكره وافتخر بجميله لانه اعطاني كل ما كنت امناه في حياتي .

– هل الطفل موجود حتى اليوم ؟

– نعم . ان اسمه جون ، وهو الان شاب رائع في العشرين من عمره ، واني اتمنى لو انا تراه . وسوف يندو مهندس مناجم ، وكان ، ولم يزل ، اجمل وأبر الابناء . وقد قلت له : ان والده الانجليزي توفي قبل مولده باسبوع قليلة .

وحملت ساترويت في وجهها مندهشاً لهذه القصة التي سمعها ، ولكنها كان في الوقت نفسه يشعر ان القصة لم تتم فصولها بعد . ومن ثم قال :

– ان عشرين عاماً وقت طويل جداً . الالم تفكري في الزواج مرة اخرى خلاله ؟

– كان ابني يملاً حياتي دائمًا .

ثم اردفت قائلة ، وهي تنظر الى مياه البحر في ذهول :

– ولكن الحياة لا تبقى على حالة واحدة أبداً . لا بد ان تقع فيها الاحداث ، وكثيراً ما تكون هذه الاحداث عجيبة غريبة غير متوقعة . ولعلك لن تصدقني مثلاً حين اقول لك انتي لن اكن احب والد ابني جون عندما عرفته في تلك الليلة او بعد ذلك بأشهر . بل لم اكن اعرف ما هو الحب

في ذلك الحين . وقد توقعت ، بداهة ، ان يكون الابن شببيها بي . ولكنه جاء لا يشبهني في شيء . بل ان من يراه لا يظن اني امه . لقد جاء شببيها بابيه تماما . وهكذا تعلمت كيف اعرف اباه عن طريقه . وعمن طريق هذا الابن تعلمت كيف احب ذلك الاب الذي لم اعرفه غير ليلة واحدة ، واني لاحبه الان ، وسوف اظل احبه الى غاية العمر ، لعلك ستقول انتي واهمة ، واني اقامت حبي على اساس من الوهم ، ولكن لا ، تأكد انتي احب الان ذلك الرجل .. احب الرجل بدمه ولحمه وكل شيء فيه ، اعني انتي لا احب صورته او خياله . ولو اني رأيته الليلة او غدا فسوف اعرفه فورا رغم هذه الاعوام العشرين التي مرت على فراقنا . ان حبي له هو الذي انضج اونتي . ولهذا فاني احبه حب الانثى الناضجة للرجل القوي . وقد عشت هذه الاعوام العشرين وانا احبه وسوف ابقى على هذا الحب حتى الممات .

وتوقفت فجأة قبل ان تردد قائلة في تحد :

ـ هل تظن انتي مجنونة اذ اقول هذا ؟

ـ نتناول ساترويت يدها بين يديه وتمتم قاتلا بحنان :

ـ لا .. مطلقا يا عزيزتي ..

ـ هل تفهم حقيقة مشاعري ؟

ـ نعم .. نعم .. ولكن هناك شيئا اخر .. شيئا لم تخبريني به بعد ..

ـ فقطبت جبينها ببرهة ، ثم قالت :

ـ نعم .. هناك شيء اخر ، ويلوح لي انك خبير بدخول النفوس .. ولكنني اؤثر الا اخبرك بهذا الشيء لصالحتك ..

ـ وعندئذ قال ببطء :

ـ حدث شيء لم يكن متوقعا .. اليس كذلك ؟

ـ وطرفت عيناهما قليلا ، ثم هزت رأسها في استسلام ، وقالت :

ـ نعم .. ولكنني اؤثر الا اخبرك به ، وذلك ، كما قلت ، لصالحتك ..

ـ هل تخشين ان اصبح شريكك في المسؤولية اذا عرفت ؟

ـ فشحب وجهها فجأة ، وزمت شفتيها ، وعندئذ قال لها :

ـ انك تفكرين في الانتحار ؟

ـ اوه !! كيف عرفت ؟! كيف عرفت ؟!

ـ هذا عجيب ؟! انتي لم ادر في حياتي امراة مماثلة بالحيوية والرضا

وحب الحياة مثلك ، فلماذا تفكرين في الانتحار ؟!

فنهضت ومضت الى الشرفة المطلة على البحر ، ثم قالت :

ـ لاتقد ابني من الحقيقة . انه لا يعرف انه ابن سفاح ، انه ابن ليلة غرام . فلو عرف هذه الحقيقة فسوف ينهاي تماما ، لانه شديد الاعتزاز بنفسه . وقد احب اخي الفتاة وقرر الزواج بها . وسوف يحضر بعد وقت قريب ليعرف كل شيء عن ابيه .. عن حسبه ونسبة حتى يكون مستعدا لاستلة اهل الفتاة . فلو عرفحقيقة امره ، فسوف يقطع علاقته بالفتاة ، وسوف يرحل الى مكان ناء ليفرق نفسه في الشراب والضياع . اوه !انا اعرف ماذا تزيد ان تقول . ولكن لا . انتي اعرف ابني اكثر منك ، انه لن يطيق ابدا ان يعيش بين اشخاص يعرفون انه ابن سفاح . والناس في مثل هذه الحالات لا يرحمون ولا يغفرون . ولكن اذا وقع لي « حادث » قضى على حياتي قبل مجنيه ، فسوف يضيع كل شيء في غمار هذا الحادث ، وعندما يفتح الاوراق التي سأتركها ورائي ، فانه لن يجد شيئا ، وسوف يستاء لاني لم اخبره بشيء كثير عن ابيه . ولكنه لن يشك في شيء . هذه هي الوسيلة الوحيدة . وعلى الانسان ان يدفع ثمن سعادته ! وقد اغترفت من السعادة الشيء الكثير بحيث اعتبر ان تضحيتي بحياتي ثمن يسير . كل ما احتاجه بعض الشجاعة لاقفرز من فوق المرتفع ، ثم انحمل عذاب الموت لحظة او لحظتين .

ـ ولكن يا طفلي العزيزة .

ـ لا تتعب نفسك في محاولة اقناعي . لقد قررت امرا وانتهيت منه وحياتي هي ملكي الخاص ، وكان ابني جون في حاجة اليها لينمو ، وقد نما . وهو الان في حاجة الى ان افقدها لينجو من العار . ولسوف اضحي بها من اجله . وان من حقى ان افعل بحياتي ما اشاء .

ـ هل انت واثقة من هذا ؟

ـ كل الثقة ، لأن حياتي لم تعد نافعة لاحد .

ـ ومن ادركك ؟

ـ ماذا تعني ؟

ـ اسمعني ، لسوف اضرب لك مثلا على ان حياة اى انسان قد تكون نافعة لانسان اخر دون ان بدرى ، بل قد تكون سببا في حياة انسان اخر بلا قصد منه . فقد حدث مثلا ان جاء رجل الى المرتفع ليلقى نفسه الى البحر ، ولكنه وجد رجلا اخر جالسا ، ففشل في تحقيق رغبته وعاد من

حيث انى ليعيش . فما معنى هذا ؟ معناه ان الرجل الثاني ، انقل ، بلا قصد او غرض ، حياة الرجل الاول . اي ان وجود الرجل الثاني على قيد الحياة كان السبب في اتخاذ راغب الانتحار من الموت . وانت مثلا ، الا يمكن ان تكوني سائرة في الطريق ، في زمان محدود في مكان معين اثناء انطلاق جواد جامح . ويوشك هذا الجواد ان يدوس بستابكه طفلا يحبه ، ولكنه - اي الجواد - يراك ، فینحرف نحوك ، وتستطعين انت ان تتجنبيه خطره ، وبذلك ينجو الطفل - بسبب وجودك على قيد الحياة - ثم يعيش ليصبح مخترعا عظيما ، او طبيبا نابفة يكشف علاجا لمرض السرطان او عقارا مثل البنسلين ومشتقاته ! فحملقت في وجهه مدهوشة ، ثم قالت :
- انك رجل عجيب . لم يخطر ببالى ابدا ان افكر في مثل هذا

الذي تقول .

ثم اردفت قائلة بعد برهة صمت :

- والآن ماذا ت يريد مني ؟!

- اريد منك فقط ان تدعيني بالا تفعلي بنفسك شيئا لمدة اربعين وعشرين ساعة فقط .
- حسنا . لك هذا .

-ولي رجاء اخر . وهو ان تتركي مصراع النافذة التي دخلت منها الليلة مفتوحا من الداخل ، كما حدث الليلة تماما ، وارجو ان تكوني في انتظار شخص ما .

نظرت اليه بدهشة ، ولكنها اومات برأسها . وهنا نهض ساترويت قائلا :

- والآن يجب علي ان اصرف . بارك الله فيك يا عزيزتي .
ولما دخل الى الفندق ، كان الليل قد ارخي على العالم استاره ، وهناك ، في شرفة الفندق ، رأى شخصا يجلس في منعزل ، فتقدمن اليه وهو يشعر ان مصير شخصين قد غدا بين انامل اصابعه ، وان اقل خطأ في التصرف قد يأتي بنتيجة عكسية .

قال ساترويت بهدوء :

- جو لطيف الليلة . لقد نسيت نفسي وانا جالس في ذلك المرتفع .
فقال الرجل الذي لم يكن غير انتوني كوزدين :
- هل كنت فوق المرتفع كل هذا الوقت ؟!

فأوماً برأسه ، وفجأة قال انتوني ، وهو يرم شفتيه في تصميم
رهيب :

— لسوف اتعشى بعد العشاء على الشاطئ . اتفهم ؟ ان المرة الثالثة
ستكون الاخيرة — واني لا رجوك ، بحق السماء الا تتدخل ، فانا اعرف
انك تبغى الخير . ولكنني اؤكد لك ان تدخلك لن يجدي .
فنهض ساترويت وشد قامته ، وقال :

— ابني لا اتدخل في حياة الغير ابداً . ولكن .. ولكن الاحداث
احياناً ، او الفضول احياناً ، يرغم الانسان على تصرفات لم تكن تخطر
بباله ، فمثلاً جدث الليلة ...

ثم جلس وصمت ، فقال انتوني :
— ماذا حدث الليلة ؟

— بينما انا في طريق العودة ، نظرت للمرة الالف الى ذلك القصر
الصغرى فوق الربوة ، وللمرة الالف تسائلت عما قد يكون مقیماً فيه ؟ ثم
دفعني الفضول الى تصرف خاطيء ، واذا انا احاول فتح مصراع خشبي
للتاذفة الارضية .

— هل فعلت هذا حقاً ؟ لا شك انك وجدته ملقاً ؟
— لا .. وجدته مفتوحاً . انه مصراع التاذفة الثالثة عند الطرف
الايسر من القصر .

فهتف انتوني كوزدين قائلاً :

— عجباً .. عجباً .. انها التاذفة التي ...
توقف فجأة ، ولكن ساترويت لمح البريق الذي تألق في عينيه في
تلك اللحظة .
وعندئذ نهض ، وغادر الشرفة ، مطمئناً .

* * *

وفي العاشرة من صباح اليوم التالي ، صعد الى حدبة القصر حيث
استقبله البستانى العجوز مانويل بوردة عاطرة ثبتها في عروة سترته ،
وفي وسط الحديقة ، وقف ساترويت ينظر الى القصر الصغير الجاثم
فوق الربوة في سكون وهدوء وسلام . وفجأة فتح باب جانبي من القصر ،
وخرجت منه السيدة التي رآها امس ، وشرب معها الشاي .

كانت تتجه البه بخطوات خفيفة رشيقه كأنها تسير على الهواء ، او
كأنها انسان يعيش في نشوة حالمه ، وقد شرب كأس السعادة المترعة ،
فإذا هو يتمايل من فرط الشدة والابتهاج . او كأنها زهرة أضناها
الجفاف ، فأسعدها فجأة الظل والندى ، فإذا هي انضر وابهى ما تكون .
وأقبل عليه كأنها البهجة مجسمة ، ووضعت يديها على كتفيه ،
وقبلته في حب واعتراف بالجميل ، واحس بقبلتها كأنها لمسات الورد
الناضر ، والزهر الناعم العاطر والنسيم العذب في يوم حار . وقالت
له بصوت متهدج :

— لشد ما أنا سعيدة . لشد ما أنا سعيدة يا عزيزي . كيف عرفت؟
كيف امكنتك ان تعرف انه هو ؟ بخيل لي انك ساحر عجيب .
ولهشت انفاسها من فرط السعادة ، وهي تردد قائلة :
— لسوف نذهب اليوم الى القنصل لنعقد الزواج . ومندما يأتي
ابتنا جون سجد اباه في انتظاره . ولسوف نقول له اتنا افترقنا قبل
مولده ، واخيرا جمعت الاقدار بيننا وتم الصلح . ولن يسأل كثيرا عن
أسباب الخصم حتى لا يرجعنا . آه . ما اشد سعادتي ، ما اشد
سعادتي !

وكانت السعادة حقا تشع منها ، وتنشر حولها كأنها العطر العذب
المنساب من اجمل الورود واعطرها . وعادت تقول :
— لشد ما كانت بهجة انتوني عندما عرف ان له ولدا . لم يخطر
ببالى انه سيهتم بالامر كل هذا الاهتمام . من كان يصدق ان الحياة كانت
تدخر لنا كل هذه السعادة في النهاية ؟!
وقال لها بلطف :

— لسوف تسددين اليه اعظم خدمة اذا انت ملأت حياته بالسعادة في
هذه الاشهر القليلة التالية .

فبرقت عيناه بالدهشة ، ثم قالت في صوت كله التصميم :
— اوه ! أعتقدت انتي سأتركه بموت بعد ان انتظرته كل هذه السنين ؟
لا لا ، هذا هو الحال . ان مئات من الاطباء يخطئون في كل انجاء العالم ،
وفي كل يوم ، وان مئات من الاطباء يقددون الامل في حياة مئات المرضى
كل يوم ، ولكن الاقدار تسخر منهم ، ويموت الطبيب ، ويعيش المريض .
ونظر البها .. وتأمل وجهها الجميل المفعم بالحيوية ، وقوة الارادة ،
والتصميم ، وحب الحياة . واما اخيرا براسه . نعم ، انه هو ايضا

يعرف اطباء أخطأوا التشخيص ، وفقدوا الامل ، ولكن المريض عاش ، واسترد صحته .
وعادت تقول :

— أعتقد انني سأتركك يوماً ؟
— لا . بل اعتقادك ان حبك سبب في اجله ، ويطيل في عمره .
واخيراً عاد في طريقه الى المرتفع الصخري بين اشجار السرو ، وهنالك ، على مقعده الانير ، وجد شخصاً كان يتوقع ان يلتقي به . انه المستر كوبن الذي نهض باسمها في حزن ، وقال وهو يحييه :
— هل كنت تتوقع رؤيتي ؟
— نعم .

وجلسا معاً ، وقال المستر كوبن :
— يبدو من ملامح وجهك انك — مرة اخرى — لعبت دور العناية الالهية في حياة اثنين من المحبين .

— انك تقول هذا وكانت لا تعرف شيئاً مما حدث .
— الواقع اني جئت هنا لا لأؤدي مهمة خاصة .
— من ؟!
— لرجل مات . فانا ، كما تعرف ، احد المدافعين عن الموتى .
— انت لا افهم .

فأشار المستر كوبن الى مياه البحر الشائرة ، وقال :
— لقد غرق رجل هنا منذ اثنين وعشرين عاماً .
— انا اعرف هذا ، ولكني لا افهم ...
— لنفترض ، رغم كل شيء ، ان ذلك الرجل كان يحب زوجته الى حد الجنون . ومن الممكن ان يحب الرجل الجنوني الى ملاك ، او الى تسطوان . لقد احبته الزوجة الشابة حب العذراء ، ولكنه لم يستطع هو ان يوقظ ا妄تها او يرضيها ، وهذا العجز جعله يشعر بالغضب على نفسه وعلى الناس جميعاً ، وعلبها هي ابضاً ، فراح ، كالمعتاد في هذه الحالات ، يتلذذ بتعدديها ، لانه يحبها . وهذا ما يحدث عادة ، وانت تعرفه كما اعرفه انا .

— نعم . نعم . انا اعرف احداثاً كهذه ، ولكنها نادرة جداً .
— وانت تعرف ايضاً ان الانسان ، في كثير من الاحيان ، يندم على ما فعل ، ويشعر بالرغبة في تمويه الحقيقة عمماً فعله بها من شر ،

بأي ثمن .

— ولكنه مات قبل ،

— مات ؟ ما معنى قوله انه مات ؟! كل ما في الامر انه انتقل من حياتنا هذه الى حياة اخرى ، ولاشك انك تؤمن بذلك الحياة الاخرى بعد الموت . ومن يدريك ان الروح في هذه الحياة الاخرى لا يكون لها نفس المشاعر والرغبات والامال ؟ فاذا كانت الرغبة قوية بما فيه الكفاية ، فان في مقدورها ان تجد وسيلة لتحقيقها عن طريق شخص اخر لم يتمت بعد .

وساد الصمت برهة طويلة ، نم قال ساترويت وهو ينهض :

— انتي ذاهب الى الفندق ، فهل ستذهب عني ؟

— لا .. انتي عائد الى المكان الذي جئت منه .

ولما التفت ساترويت وراءه ، شاهد المستر كوين وهو يسير مبتعدا على حافة المرتفع الصخري .

الفصل الخامس

صوت في الظلام

قالت الليدي سترايلي للمستر ساترويت :

ـ ابني اشعر بالقلق على مارجري ، ابنتي كما تعرف ، وان الانسان ليشعر بهذه الشيوخة البفيضة اذا كانت له ابنة شابة في مثل سن مارجري .

فقال ساترويت مجاملاً :

ـ ان من يراك لا يصدق ان لك ابنة شابة !

ـ اووه ! مجرد مجاملة .

ونظر ساترويت الى الليدي في امباب ودهشة ، فقد كانت تبدو ، رغم تجاوزها الخمسين من العمر ، في سن الصبا والشباب ، ولا شك ان صالونات التجميل في كل احياء اوروبا ظفرت منها باموال طائلة .
وكانا جالسين تحت مظلة على شاطئ البحر بمصيف « كان » .

وعادت الليدي تقول وهي تضع ساقا على ساق ، وتشعل سيجارتها
بقداحة ذهبية مرصعة :

- نعم . اتنى اشعر بالقلق على ابنتي مارجري .

- لماذا ؟ ماذا حدث ؟

- انك لم ترها ؟ اليس كذلك ؟ انهما ابنتي من زوجي السابق
تشانلس .

وكان ساترويت يعرف ان الليدي سترايلي تتحلى من الزواج هواية
ونوعا من اللهو تزجي به وقت فراغها . وقد تزوجت اربعة رجال ، مات
احدهم وطلق الباقين .

وبعد برهة من الصمت ، تنهدت الليدي ، وقالت :

- ان مارجري أصبحت ترى وتسمع اشياء غامضة .. اشباحا او
 شيئا من هذا القبيل . انها فتاة عاقلة متزنة لا تتردد على العفلات ، ولا
تهفو الى السهرات الصاخبة ، او بمعنى اصح، فتاة من الطراز القديم
تحب فقط ركوب الخيل والصيد ، والبقاء في قصرنا بإنجلترا .

وارسلت اففاسا من سيجارتها في الهواء ، ثم عادت تقول :
- اتنى اشعر بالقلق عليها ، لأن سماع الاصوات الغامضة علامات
خطيرة على قرب الاصابة بالجنون . والواقع ان قصرنا « أبوت ميد »
كان مسكونا بأحد الاشباح ، ولكنه هدم تماما في عام ١٨٣٦ ، وأعيد بناؤه
على الطراز الفيكتوري القديم ، واعتقد انه لا يمكن ان يكون مقر لاي شبح ،
لأنه عادي البناء قبيح الشكل .

وابتسمت الليدي ، وقالت فجأة :

- خطر لي انك ربما استطعت ان تساعدنا .

- انا ؟

- نعم . انك هلند غدا الى إنجلترا ؟ اليس كذلك ؟

- نعم .. نعم .

- وانت تعرف الشيء الكثير عن هؤلاء المهمعين بتحضير الارواح وما
الى هذا . لا شك في هذا ، فاتت تعرف معظم الناس في كل مكان .

وحاول ساترويت ان يقول شيئا ، ولكنها قاطعته بقولها :

- حسنا . اتفقنا . انك رجل ممتاز يا مISTER ساترويت . آه . هذا

هو بييمبو .

ورأى ساترويت شابا في نحو الثلاثين من عمره ، يحمل مضربي

التنس ويتقدّم نحو الليدي سترايلي باسماً ، وكانت هي تبتسم له في اغراء واعجاب وتقول :

ـ انه مدرب في رياضة التنس ، وهو شاب رقيق لطيف يعرف كيف يختار اجمل الالفاظ في حديثه . هاللو بيمبو .
وانطلقت الليدي الى الشاب ، تاركة المستر ساترويت يقول لنفسه :
« ترى ، هل سيكون بيمبو هذا هو الزوج الخامس ؟ »

وفوجيء المستر ساترويت ، وهو في القطار ببرؤية المستر كوين جالساً في نفس المقصورة فأشرق وجهه ابتهاجاً ، وقال :

ـ ما اعجب والطف هذه المصادفة يا عزيزي المستر كوين ؟!

ـ نعم يا مستر ساترويت ، انها مصادفة لطيفة حقاً .

ـ انك عائد الى انجلترا على ما اعتقد ؟

ـ نعم .. في مهمة خاصة .

فقال ساترويت في شيء من الزهو :

ـ وانا ايضاً عائد في مهمة خاصة . لعلك تعرف الليدي سترايلي ؟

ـ فلما هز المستر كوين رأسه ، استطرد ساترويت قائلاً :

ـ انها تحمل لقباً قديماً - قديماً جداً - من الالقاب التي يتوارثها افراد الاسرة جيلاً بعد جيل ، الاكبر فاماً من افرادها . وهي تحمل لقب بارونة بالوراثة المطلقة .

ـ وتراخي المستر كوين في مقعده وهو يمسك كأس شرابه ويتأمله ، ثم قال :

ـ يبدو انك ستخبرني بتاريخ اسرة عريقة يا مستر ساترويت . ولا شك انه تاريخ طريف مشير . اليس كذلك ؟

ـ واشراق وجه المستر ساترويت بالرضا ، وهو يقول :

ـ نعم .. نعم .. انها ، هذه الليدي سترايلي ، امراة مدهشة ، في الستين من عمرها ، ومع ذلك فلو رأيتها لما حسبتها تجاوزت الأربعين . جميلة ، ناعمة البشرة ، متألقة العينين . وكانت امرافها ، هي وأختها الاكبر منها بياتريس ، منذ كانتا في سن الصبا : بياتريس ، وبريارا . كانتا شابتين جميلتين ، فقيرتين في ذلك العين . ولكن هذا كان منذ

عهد بعيد ، نعم ، فقد كنت أنا أيضا في ذلك العهد شابا وسِيما موْفَور
الحيوية والصبا . وكان بينهما وبين اللقب والثروة اشخاص كثيرون من
أفراد الأسرة . وكان حاملاً اللقب ، والحاائز على الاملاك كلها اللورد
سترانلي ابن عم ابها . وشاء القدر أن يموت أخواه وأبن عم له . ثم
حدثت كارثة الباحرة يوراليا ، هل تذكر مأساة غرقها ؟! لقد هوت إلى قاع
البحر بالقرب من شاطئ نيوزيلاند . وكانت الفتاتان من بين ركابها . وقد
غرقت الاخت الكبرى بيتريس ، ونجت بريبارا ، الاخت الصغرى ، وبعد
ستة أشهر من الكارثة ، مات اللورد سترانلي المجنون ، فورثت بريبارا
اللقب والثروة الضخمة ، وراحت - منذ ذلك الحين - تعيش من أجل
شيء واحد فقط : نفسها ! لقد ظلت دائما الفتاة التي تعرف كيف تمنع
نفسها بكل أطابق الحياة ، وكيف تفكر فقط في مواجهها وسعادتها وكل
ما يخصها دون الآخرين . وتزوجت أربع مرات ، واعتقد أنها في الطريق
للزواج من الخامس الان .

وبعد ان ذكر المستر كوين تفاصيل المهمة التي يسافر من أجلها إلى
إنجلترا ، استطرد قائلاً :

- وسأمضي فورا إلى قصر « أبوت ميد » لازور الابنة الشابة
مارجري ، فإننا أشعر أنه ينبغي مساعدة هذه الابنة في محنتها . ما رأيك ؟
أتاني معنى ؟

- أعتقد أنني لن أستطيع ، ولكن ، ليس قصر « أبوت ميد » يقع
في أقليم ويلشير ؟
نعم .

- حسنا . لسوف أكون مقينا في خان صغير بالقرب من مزارع
القصر ، يدعى خان « بيلز آند موتلي » ولا شك أنك تعرفه ، لأننا التقينا
فيه ذات مرة .

- هل سأجدك فيه اذا أردت مقابلتك ؟
نعم .. ساقضي فيه أسبوعا أو عشرة أيام ، وسوف تجدني في
انتظارك هناك .

وقال المستر ساترويت في صوت كله رفق وتلطف :
- تأكدي يا عزيزتي مارجري أنني أخْر من يضحك من مخاوفك .
وكان جالسا مع مارجري جيل في البهو الكبير المريض بقصر « أبوت
ميد » وكانت هي فتاة طولية القامة ، ملفوفة الجسم ، سوداء الشعر ،

اقرب ما تكون شبهها باليها الذي كان عمدة بلده ، مشهورا بالقوة والحزن والتصميم . وكانت نبدو في نضارتها وصباها واتزان تفكيرها انموذجا للعقل والحكمة . ومع هذا فقد تذكر المستر ساترويت ان افرادا في اسرتها كانوا يعانون من اضطرابات عقلية . فلعل مارجري قد ورثت عن ابيها قوة الجسم وضارته ، وعن امها بعض الاضطرابات العقلية .

وقالت مارجري :

ـ اتمنى لو عرفت كيف اتخلص من تلك المرأة كاسون ، فانا لا اؤمن بتحضير الارواح ولا احب هذه العملية اطلاقا . ولكنها امراة عنيفة متخصبة لازائتها ، وهي مصرة على استحضار وسيطة روحية للتخلص من تلك الاوصوات الخفية .

ـ قتمل المستر ساترويت في مجلسه ببرهة ، ثم قال وهو يتنحنح :

ـ ارجو اولا ان الم بكل الحقائق الاساسية . ولقد بذلت تسمعين هذه الاوصوات الخفية منذ شهرين ؟ اليك كذلك ؟!

ـ نحو ذلك ! واحيانا كنت اسمعها خافته هامسة ، واحيانا واضحة قوية ، ولكن الكلمات كانت هي هي دائما .

ـ ماذا كنت تسمعين ؟!

ـ « اعيدي ما ليس لك .. اعيدي ما سرقت » ! وفي كل مرة كنت اضيء الغرفة فلا اجد احدا . واخيرا اضطربت اعصامي ، وجعلت كلaiton وصيغة امي - تنام على اريكة معي في نفس الغرفة .

ـ ومع ذلك كنت تسمعين الصوت كالمعتاد ؟

ـ نعم .. وهذا ما يفزعني ، لأن كلaiton لم تكن تسمع هذا الصوت . ولهذا السبب نصحبني بعرض نفسي على طبيب ، ولكنها ، بعد الذي حدث في الليلة الماضية بذلت تلمس لي العذر .

ـ وماذا حدث في الليلة الماضية ؟

ـ كنت سأخبرك به ، رغم اني لم اخبر احدا قط . كنت طيلة يوم امس امارس رياضة الصيد ، ومن ثم استغرقت في نوم عميق من فرط التعب والاجهاد . ورأيت في النام حلما رهيبا ، رأيت اني اسقطت على سياج حدبدي مدبب ، وان احد قضبانه المدببة دخل في عنقي ، وان ذلك الصوت الخفى يقول لي « اعيدي ما سرقته مني ، والا فالموت لك ». وصرخت في فزع ، وضربت الهواء بيدي ، ولكنني لم اجد شيئا . واستيقظت كلaiton على صرختي ، وكانت نائمة في الغرفة المجاورة .

مباشرة ، فاسرعت الي ، وشعرت بوضوح بشيء ما يلامسها وهو يخرج من الفرفة ، ولكنها تؤكد ان هذا الشيء أيا كان ، فلن يكون مخلوقاً آدمياً .

وحملق المستر ساترويت في وجهه مارجري وامارات الدهشة بادية على وجهه ، ثم تحولت نظراته الى ضمادة صغيرة تخفي جرحها في عنقها ، فاومات برأسها وقالت :

ـ نعم .. هذا هو اثر ذلك السن المدب الذي شعرت به اثناء الحلم ، ومعنى هذا ان الامر ليس مجرد اوهام فقط .
ـ هل هناك أحد يكرهك او يهدد عليك ؟
ـ لا طبعاً ! لماذا ؟

ـ لا شيء ، مجرد سؤال . هل كان لديك ضيوف يقيمون معك في القصر خلال الشهرين الماضيين ؟

ـ ان مارسياكين ، وهي من اعز صديقاتي ، ومن هاويات ركوب الخيل مثلى ، هي فقط التي اقامت ، ولا تزال تقصد معي هنا منذ اكثر من شهرين ، وهناك ابن عمي رولي فافوزوار الذي يقضى معنا اياماً كاملة بين العين والآخر . هذا عدا ضيوف نهاية الأسبوع كالمنتاد .
واوما ساترويت برأسه ، ثم اقترح ان يرى الوصيفة كلايتون ، وهو يقول :

ـ اعتقاد انها كانت معك منذ امد بعيد ؟

ـ نعم .. فقد كانت وصيفة لامي ولخالتى بياتريس عندما كانتا شابتين . وهذا على ما اعتقاد ، ما جعل امي تحفظ بها ، رغم انها تستخدم لنفسها وصيفة فرنسية خاصة . وان كلايتون تقوم الان بأعمال الخياطة ، وبعض الاعمال الخفيفة في القصر .

ونهضت مارجري ومضت مع المستر ساترويت الى الطابق الاعلى من القصر ، ولم تلبث الوصيفة كلايتون ان اقبلت ، فرآها ساترويت سيدة عجوزاً ، طبولة القامة ، ونحيلة الجسم ، تفرق شعرها الاشيب من الوسط بعنابة ، وتبدو نموذجاً للوقار والثبات . وقد قالت مجيبة على استئلة ساترويت :

ـ لا يا سيدي ، انتي لم اسمع ابداً ان هذا القصر « مسكن » بشبع ، الواقع انتي ظنت المس مارجري واهمة تماماً حتى رأيت مسا حديث بالامس . فقد احسست فعلاً بشيء يلمسني ، وهو يسرع في الظلام ،

شيء لا يمت الى البشر ابدا . ثم هناك ايضا ذلك الجرح في عنقها ،
فليس من المقبول ان تكون قد فعلت هذا بنفسها !

ولكن هذه الكلمات الاخيرة جعلت المستر ساترويت يتتسائل : « هل
يمكن ان تكون مارجري قد جرحت نفسها حقا حتى تثبت للجميع انها
ليست واهمة » ؟! لقد سمع عن حالات كثيرة كانت فيها كل فتاة تبدو
عاقلة متزنة مثل مارجري ، ومع ذلك ترتكب مثل هذه الحماقات .
وقالت كلايتون :

ـ انه جرح بسيط سوف يلتئم سريعا ، وليس مثل هذا الجرح ..
واشارت الى اثر جرح في جبينها ، واردفت قائلة :

ـ لقد اصبت بهذا الجرح منذ اربعين عاما ، ولا زال اثره باقيا .
وقالت مارجري :

ـ اصبت عندما غرفت الباحرة يوراليا ، وذلك عندما سقط على
رأسها قضيب حديدي . اليك كذلك يا كلايتون ؟

ـ نعم يا آنستي .

وقال ساترويت :

ـ وما رايوك الخاص في هذا الموضوع يا كلايتون ؟ اعني موضوع المس
مارجري جيل ؟

ـ اني في الواقع افضل الا اقول شيئا .

ـ لماذا ؟!

ـ لاني اعتقاد ان ظلما كبيرا حدث في هذا القصر ، وحتى يرتفع هذا
الظلم ويعود الحق الى اصحابه ، فلن يكون هناك راحة او سلام .
وكانت وهي تقول هذا تنظر الى وجه ساترويت - في تبات - بعينيها
الزرقاوين الباهتين .

وهبط الى الطابق الارضي ، وهو غير مقتنع برأي كلايتون في ان
« ظلما كبيرا وقع في هذا القصر » . وخطر له ان هذه الظاهرة الخفية لم
تحدث الا منذ شهرين ، اي منذ اقامة مارسياكين ، صديقة مارجري ،
في القصر ، ومنذ ان اخذ ابن العم رولي فاغزواد يتردد كثيرا للإقامة
فيه . ومن ثم قرر ان يعرف الشيء الكثير عن هذين الشخصين . ولعل
الامر كله لا يبعدو ان يكون دعابة من النوع الثقيل .

ووجد مارجري تفتح الخطابات الواردة اليها في ذلك اليوم ، فلما
راته ، قالت له في دهشة :

— ان امي غريبة الاطوار في رسالتها هذه .. اقرأها !
وقرأ في الرسالة ما يلي :

« حبيبي مارجري : سرني ان المستر ساترويت ينزل ضيفا عليك .
 فهو يعرف الكثرين من المشتغلين بالباحث الجنائي ، ويمكنه الالتجاء
اليهم ليكشفوا عن سر هذه الاصوات الغ فيه التي تسمعونها . واثمنى لو
اني بجانبك ، ولكنني اشعر في هذه الايام الاخيرة بتوعك مستمر في
صحتي ، ويبدو ان الفندق قد اصبح يحمل كثيرا في اعداد الطعام ، فان
الطبيب يقول : انتي اعاني من تسمم بطيء . والواقع اني كنت منذ ثلاثة
ايام مريضة جدا . اشكرك على هدية الشيكولاتة التي ارسلتها الي . وعلى
الجملة انتي الان بخير ، ويقول بيمبو انتي اتقدم كثيرا في رياضة التنفس ..
تحياتي اليك »

وهنا سال ساترويت فجأة :

— هل ارسلت اليها حقا هدية من الشيكولاتة ؟
— لا . وهذا ما يثير دهشتني من خطابها . لا شك ان شخصا ما
ارسل اليها هذه الهدية .

واوما ساترويت برأسه وهو يربط في ذهنه بين الشيكولاتة المرسلة
من شخص مجهول ، وبين التسمم البطيء الذي عانت منه الليدي
سترانلي ، وظلت ان طعام الفندق هو السبب .

وهنا أقبلت فتاة طويلة خمرية اللون من غرفة الجلوس وانضمت
اليهما ، وعرف ساترويت حين قدمتها مارجري اليه ، انها الصديقة
مارسياكين . وقد نظرت اليه في شيء من الدعاية والتهكم ، وقالت
بصوت مقطوع :

— هل جئت للایقاع بشبح مارجري الاليف ؟ انتا جميعا مهتمون بأمر
هذا الشبح . آه . ها هو ذا رولي .
وتوقفت امام القصر سيارة هبط منها شاب طويل ذهي الشعر ،
كثير الحركات . وهتف بمارجري قائلا :
— هاللو مارجري ! هاللو مارسياكين ! لقد جئت اليكما بالمد لقاومة
الشبح .

ثم استدار الى امراتين كانتا تدخلان معه القاعة ، واردف قائلا :
— وارجو ان تنجحا في هذه المقاومة الليلة .
وعرف ساترويت ان احداهما هي المسز كاسون التي حدثته مارجري

عنها منذ لحظات . وقد قالت هذه السيدة ، وهي تبتسم :
- اغفرني لي يا مسن مارجري ، فقد اصر المister فافوزوار ان نجرب استخدام الادواء لطرد هذا الشبح . ولهذا جئت معك بالمسن لويد ، الوسيطة الروحية .

وانحنت المسن لويد تحية للجميع ، وكانت شابة من النوع العادي نكثر من وضع المساحيق على وجهها ، وكانت تتزين بقلادة من احجار القمر ، وعدد من الخواتم .

ولاح على المسن مارجري بوضوح انها لم تبتهج لحضور المسن لويد هذه ، وانما القت نظرة غاضبة على رولي فافوزوار الذي لم يجد انه شعر بارتکاب اي خطأ . واخيرا قالت :

- ان طعام الفداء معد . هلم اليه .

ولم تتناول الوسيطة الروحية غير الفاكهة اثناء وجبة الفداء . وقبيل الفراغ من تناول الطعام ، القت برأسها الى مسند المقعد وقالت وهي تتشمم الجو :

- اشعر ان في هذا القصر شيئا ليس كما ينبغي !

وتمتنع المسن كاسون في ابتهاج :

- اليك هذا رائعا يا عزيزتي مارجري ؟

وعقدت جلسة تحضير الارواح في غرفة المكتبة ، وبعد اتخاذ الترتيبات الدقيقة لعقد الجلسة ، اعلنت الوسيطة الروحية انها مستعدة للبدء ، ثم قالت :

- اننا هنا ستة اشخاص . يحسن ان تكون سبعة .

واقترح رولي احضار احد الخدم ، ولكن مارجري طلبت استدعاء الوصيفة كلaiton ، وهنا لاحظ ساترويت امارات الاستيءان على وجهه الشاب الذي قال :

- ولكن لماذا كلaiton بالذات ؟

فقالت مارجري ببطء :

- انك لا تحب كلaiton .

- الواقع انها هي التي لا تحبني ، وعلى كل حال ، انتي لا اعارض في

حضورها .

وتم عقد الجلسة ، واسدلت السائرات الكثيفة ، وبعد فترة من الصمت ، سمع الجميع نقرات متتابعة ، وإذا بروح هندي أحمر تتحدث عن طريق الوسيطة :

ـ المحارب الهندي يحييكم ايها السادة والسيدات . هنا بجانبي روح ت يريد ان تتحدث في لففة . تريسد ان تبلغ رسالة الى المس مارجري .

وبعد برهة من الصمت ، سمع الجميع صوتا نسائيا ناعما يقول :

ـ هل مارجري موجودة ؟!

فقال رولي فافوزوار :

ـ نعم .. من التي تتحدث ؟

ـ انها خالتها بيتريس .

وهنا بدا الاهتمام الشديد على وجه المستر ساترويت وهو يصيخ السمع ، وعاد الصوت النسائي الخافت الناعم يقول :

ـ انا بيتريس التي غرفت مع البالغة يوراليا . ولدي رسالة يجب ان ابلغها لابنة اخي ، المس مارجري ، « اعیدي ما ليس لك لاصحابه » . وقللت مارجري في تخاصل واستسلام :

ـ انت لا افهم شيئا . هل انت حقا خالتى بيتريس ؟

واسرعت المسر كاسون تقول محلاة :

ـ طبعا هي . لا ينفي ان ترتادي في شخصية الارواح ، فانهم لا يحبون هذا .

وفجأة ومضت بدهن المستر ساترويت فكرة بسيطة جعلته يقول :

ـ هل تذكرین المستر يوتاكىتي ؟!

وسرعان ما سمع ضحكة خفينة ، اعقبتها هذه الكلمات :

ـ او . المسكين بوتاسيتي .

وذهل المستر ساترويت . فان معنى كلمة بوتاسيتي « شقلب مركب ». وكان هو وبربارا وبيتريس يقيمون في نفس المصيف ، برايتون ، منذ اربعين عاما ، وقد حدث ان صديقا ايطاليا شابا خرج الى البحر في زورق صغير انقلب به . وقد اطلق عليه الجميع بعد ذلك بوتاسيتي « شقلب مركب ». ولم يكن في الفرقة احد يعرف هذه الحادثة التي مضى عليها اربعون عاما . ومنى هذا ان الروح نجحت في هذا الاختبار .

وتعلمت الوسيطة في مجلسها ، وغمضت بكلمات غامضة . وهنـا
قالـت المسـرـ كـاسـونـ :

ـ هـذا يـكـفي الان .. ان الوـسيـطة الروـحـية توـشك ان تـفـيق ..
وسـرعـانـ ما اـنسـكـبـ ضـوءـ النـهـارـ مـرـةـ اـخـرىـ فـي قـاعـةـ الـمـكـبـةـ حـيـثـ كانـ
الـجـمـيعـ جـالـسـينـ ، وـحـيـثـ ظـهـرـ بـوـضـوحـ انـ اـثـنـيـنـ مـنـهـمـ شـعـرـاـ بـالـخـوفـ
الـشـدـيدـ ..

ورـاـىـ المـسـرـ سـاتـروـيتـ عـلـىـ وـجـهـ مـارـجـريـ الشـاحـبـ اـمـارـاتـ القـلـقـ
وـالـاضـطـرـابـ ، فـلـمـاـ انـفـرـدـ بـهـاـ فـيـ غـرـفـةـ خـاصـةـ ، قـالـ لـهـاـ :
ـ اـرـبـدـ انـ الـفـيـ عـلـيـكـ سـؤـالـ اوـ اـثـنـيـنـ يـاـ مـسـ مـارـجـريـ .. اـذـاـ تـوـفـيـتـ
انتـ وـوالـدـتـكـ ؛ فـمـنـ الـذـيـ سـيـرـ القـبـ ، وـالـامـلـاكـ كـلـهاـ ؟
ـ رـوـليـ فـافـوزـوارـ ، لـاـنـهـ اـبـنـ عـمـ اـمـيـ مـباـشـرـ ..
ـ وـاـوـماـ سـاتـروـيتـ بـرـاسـهـ ، ثـمـ قـالـ :

ـ اـنـهـ يـتـرـدـدـ عـلـيـكـ كـثـيرـاـ هـذـاـ الشـتـاءـ .. فـهـلـ هـوـ .. يـحـبـكـ ؟
ـ لـقـدـ عـرـضـ عـلـيـ الزـوـاجـ مـنـذـ نـلـاثـةـ اـسـابـعـ ، وـلـكـنـيـ رـفـضـتـ ..
ـ اـرـجـوـ انـ تـغـرـيـ لـيـ فـضـواـلـيـ اـذـاـ قـلـتـ : هـلـ تـحـبـنـ اـحـدـ آـخـرـ ؟
ـ فـاضـطـرـمـ وـجـهـاـ خـجـلاـ ، ثـمـ قـالـتـ :
ـ لـسـوـفـ اـنـزـوـجـ نـوـيلـ بـارـتونـ الـكـاتـبـ .. اـنـ اـمـيـ تـعـارـضـنـيـ فـيـ هـذـاـ ،
ـ وـلـكـنـ مـاـ عـيـبـ نـوـيلـ بـارـتونـ ؟ـ اـنـ شـابـ دـزـينـ ، رـياـضـيـ ، لـاـ مـثـيـلـ لـهـ فـيـ
ـ رـكـوبـ الـخـيلـ ..

ـ وـفـيـ تـلـكـ اللـحـظـةـ ، اـقـبـلـ اـحـدـ الـخـدـمـ يـحـمـلـ صـفـحةـ فـضـيـةـ عـلـيـهاـ بـرـقـيـةـ ..
ـ فـلـمـاـ فـضـتـهـاـ هـفـتـ قـائـلـةـ :
ـ «ـ عـجـباـ !ـ اـنـ اـمـيـ سـوـفـ تـصـلـ غـداـ »ـ ..
ـ وـهـنـاـ قـالـ المـسـرـ سـاتـروـيتـ :
ـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ لـمـ يـعـدـ لـبـقـائـيـ اـيـةـ فـائـدـةـ .. لـسـوـفـ اـعـودـ الـيـومـ الـىـ
ـ لـنـدـنـ ..

* * *

واـحـسـ المـسـرـ سـاتـروـيتـ وـهـوـ فـيـ طـرـيقـهـ الـىـ لـنـدـنـ ، اـنـ عـبـثـاـ ثـقـيلاـ
ـ رـفـعـ عـنـ كـاهـلـهـ ، ذـلـكـ اـنـ عـودـةـ الـلـيـدـيـ سـتـرـائـلـيـ قـدـ اـعـفـتـهـ مـنـ مـسـؤـولـيـتـهـ
ـ تـجـاهـ الـابـنـةـ مـارـجـريـ .. وـلـكـنـهـ ، فـيـ قـرـارـةـ نـفـسـهـ ، كـانـ يـدـرـكـ اـنـ شـيـئـاـ مـاـ

سوف يحدث في قصر « أبوت ميد » .

وقد حدث ما كان يخشاه . ففي ذات صباح فوجيء بخبر منشور في صحيفة الديلي ميجافون مؤداته أن اللنبي سترائي وجدت ميتة في « البانيو » بحمامها ، وأن الفحص الطبي أثبت أن وفاتها نشات من اسفكسيا الفرق ، وأن المرجح أنه أغمى عليها أثناء الاستحمام ، ثم انزاق جسمها في « البانيو » حتى أصبح رأسها تحت سطح الماء ، فنرقت . ولكن المستر ساترويت لم يقتنع بهذا التعليل ، ومن ثم انطلق بسيارته الرولز في الطريق إلى أقليم ولشير ، ولكنه لم يمض فوراً إلى قصر « أبوت ميد » وإنما عرج على خان « بيلز آند موتي » حيث وجد المستر كوبين مقيناً به ، كما وعده .

ويعد أن تصافحا بحرارة ، قال المستر ساترويت في انفعال :

ـ أنتي تحتاج إلى معونتك ، فأنا أشعر في أعماق نفسي أن مارجري جيل معرضة لخطر شديد بعد وفاة أمها . وهي فتاة طيبة ، ومستقيمة ، ويجب درء الخطر عنها .

ـ يحسن أن تخبرني بالموضوع كله .

ـ ولا أخبره ساترويت بالقصة كلها ، قال المستر كوبين :

ـ إن عليك أنت أن تكشف الفموض الذي يكتنف هذا الموضوع . فانت الذي تعرف المقيمين في هذا القصر .

ـ نعم ! أنتي أعرف الشقيقين بيابرس وبربارا منذ أربعين عاماً . ولست أنسى الأيام التي سعدنا فيها بما في مصيف برايتون ، والاسم الذي اطلقاها على ذلك الصديق الإيطالي « بوتاسيتي » . بل أذكر وصيغة شابة تدعى « أليس » جميلة ، عذبة ، كانت معهما ، وقد قبلتها ذات مرة في دهليز الفندق ، وكانت أحدى الخادمات ان تضبطنا . أه .. ما أجمل أيام الشباب .

ـ وتوقف فجأة ، ثم تنهى قائلاً :

ـ كانك لن تستطيع ان تساعدني ؟

ـ لو كنت في موضعك ، لذهبت إلى قصر « أبوت ميد » الان .

ـ أنتي ذاهب فعلاً ، لا تأتي معي ؟

ـ لا . ان لدى مهمة خاصة يجب أن أقوم بها هنا .

وفي « أبوت ميد » جلس مع مارجري في غرفة مكتبها ، وكانت عندئذ مشغولة بكتابة شيء ، فلما رأته ، ابتهجت ، وقالت :

— احسنت بالحضور يا مستر ساترويت . فالواقع انتي غير مطمئنة الى ما حدث لامي ، ان رأبي الخاص هو ان شخصا ما خطف على رأسها تحت سطح الماء حتى غرفت . وان الذي قتلها ، سوف يقتلني ايضا ، ولهذا فانا الان اكتب وصيتي .

تم اشارت الى الورقة المكتوبة امامها واردفت قائلة :

— لقد رحل رولي فافوزوار ، ومارسياكين . وان اللقب وجزءا كبيرا من ممتلكاتي ستكون من نصيب رولي بعد وفاته ، ولكنني امتلك اموالا ضخمة ورثتها عن أبي . وسوف اوصي بهذه الاموال كلها الى حبيبتي نويل ، وارجو ان تشهد وصيتي هذه . اما الشاهدة الاولى ، فكانت وصيقيتي كلايتون . هذا هو توقيعها .

وامسك ساترويت بالقلم لبوقع ، وفجأة قرأ اسم كلايتون كاملا « اليـس كـلـايـتون » . فتوقف وقد اعتنـتـهـ الـدهـشـةـ ، فقد عادـتـ بـهـ الـذـاـكـرـةـ الى الوراء اربعـينـ عامـاـ ، الى مصـيفـ بـراـيـتونـ ، والـىـ الوـصـيـفـةـ الشـابـةـ الحـلوـةـ « اليـسـ » التي قبلـهاـ ذاتـ مرـةـ ، والـتـيـ كانـ معـجاـ اـشـدـ الـاعـجـابـ بـعـيـنـيهـ العـسـلـيـتـيـنـ .

وفجأة ادرك كل شيء ، واذا هو يستغرق في افكاره حتى تنبه على صوت مارجري وهي تقول :

— ماذا بك يا مستر ساترويت ؟

— لا شيء .. لا شيء .. ولكنني عرفت الان كل شيء . يجب ان تتعدي نفسك للمفاجأة . ان السيدة الموجودة هنا باسم الوصيفة « اليـسـ كـلـايـتونـ » ، ليست هي كـلـايـتونـ اـطـلاقـاـ ، ان كـلـايـتونـ الـحـقـيقـيـةـ مـاتـ غـرـقاـ في حـادـثـ الـبـاخـرـةـ يـورـالـياـ .

— اذن من تكون كـلـايـتونـ الـمـوـجـودـ هـنـاـ ؟

— انتي واثق الان تماما انها .. انها خالتك بـياتـرسـ ، الاخت الكـبرـىـ لوـالـدـتـكـ . هل تذكرـينـ قولـكـ ليـ انـهاـ اـصـبـيـتـ فيـ الحـادـثـ بـوقـوعـ قـضـيـبـ حـدـيـديـ عـلـىـ رـاسـهـ ؟ـ أـعـتـقـدـ انـ هـذـهـ الـاصـابـةـ قدـ اـفـقـدـتـهاـ الـذـاـكـرـةـ تمامـاـ ،ـ وهـنـاـ رـأـتـ وـالـدـتـكـ الفـرـصـةـ سـانـحةـ ،ـ فـقـرـرـتـ انـ ..ـ

— انـ تـظـفـرـ بـالـقـلـبـ وـالـثـرـوـةـ .ـ الـبـسـ هـذـاـ مـاـ تـعـنـيـهـ ؟ـ نـعـمـ ..ـ هـذـهـ طـبـيـعـةـ اـمـيـ ،ـ وـرـحـمـهـ اللهـ ،ـ اـنـهـ لمـ يـكـنـ يـعـنـيـهـ شـيـءـ غـيرـ نـفـسـهـ .ـ

— كانت بـياتـرسـ هيـ الاـخـتـ الـكـبـرـىـ الـتـيـ لهاـ حقـ الـورـاثـةـ بـعـدـ وـفـاةـ عـمـكـ الـكـبـيرـ الـلـورـدـ سـتـائـلـيـ .ـ كـانـتـ سـتـرـثـ كـلـ شـيـءـ ،ـ بـيـنـماـ لـاـ تـرـثـ اـمـكـ

شيئاً . ولهذا زعمت ان الفتاة الجريحة ، الفاقدة الرشد ، هي وصيفتها «اليس كلايتون» وليس اختها . واستردت الفتاة صوابها ، ولكنها فقدت ذاكرتها ، ولم تعرف الا انها اليس كلايتون كما قالوا لها . ولكن مع مرور الزمن ، بدأت ذاكرتها تعود ، ويبدو ان عودة الذاكرة كانت مصحوبة باضطراب في عقلها .

فحملقت مارجري في فزع ثم قالت :

ـ ولهذا قتلت امي ، ثم ارادت ان تقتلني .

ـ هذا ما يبدو . فان عقلها المضطرب جعلها تلجم الى هذه التصرفات القاتمة ، والى افzaاعك بالاصوات الخفية ، لكي تسترد ممتلكاتها المورونة منك ومن امك .

ـ ولكن .. ولكن كلايتون نبدو اكبر سنا جداً من امي ، بينما لم يكن الفارق بينهما غير عامين فقط .

وابتسم ساترويت في اشغال ثم قال :

ـ هذا هو ما يصنعه المال الكثير ! لقد ابكت الشروة على جمال والدتك ، وكست مباهج الحياة وجهها بالنضارة والصبا ، اما بياتريس ... ! حسناً .. هلم نصعد اليها ..

ـ وهناك في غرفتها الخاصة ، رأيتها جالسة بلا حرراك في مقعدها الوثير وبين يديها اشغال الابره . وكان وجهها جامداً شاحباً ، لا اسر للحياة فيه .

ـ ولما فحصها المستر ساترويت ، قال في اشغال :

ـ ماتت بالسكتة القلبية ، وحسناً فعلت !

الفصل السادس

الطائور المكسور الجناح

كان المستر ساترويت جالسا في غرفة المكتبة الكبيرة بقصر أحد أصدقائه في الريف الانجليزي . وكان بعض المدعوين الشبان في القصر يقدون ، على سبيل التسلية ، جلسة للتنويم المفناطيسي ، وكان أحدهم منوما يحيط على الأسئلة ، ويبلغ الرسائل الروحية إلى أصحابها ، وكان المستر ساترويت يرقب ما يجري في غير اهتمام شديد ، إذ كان يفكر في العودة إلى لندن لقضاء فصل الشتاء ، ولذلك اعتذر عن قبول دعوة مادج كيلي حين اتصلت به تليفونيا منذ ساعة ، وطلبت منه أن ينضم إلى مدعويها في قصر والدها بيلدة لايدل .

وفجأة تنبه من أفكاره على صوت الوسيط المنوم يقول :
ـ هذه رسالة إلى المستر ساترويت . هل المستر ساترويت موجود ؟

- نعم .

- المستر كوين . نعم المستر كوين يريد منه ان يذهب الى لايدل ..
الى مادج كيلي . انتهت الرسالة .

ونهض ساترويت مدهوشًا مذهولاً ، وانصرف من الفرفة ، ومضى
فوراً الى التليعون حيث اتصل بمادج كيلي ، فلما سمع صوتها قال :
- اسمعي يا عزيزني مادج ، لقد غيرت رأيي وقررت ان اقبل دموك
الرقبة . نعم . سوف اكون عندك في وقت العشاء .
واعاد المسماع الى مكانه وهو مضطرب الوجه بالاثارة والانفعال . ان
كوين - هذا الرجل الخفي العجيب هارلي كوين - قد اختار هذه المرة
الوسيل المفناطيسي لبلوغ هذه الرسالة . وما دام الامر كذلك ، فلا بد
أن أحذانا خطيرة سوف تقع ، او نوشك أن تقع ، في قصر مادج كيلي
ببلدة لايدل .

وادرك انه ايا كانت هذه الاحداث ، فلا شك ان له دوراً ايجابياً فيها ،
والاما طلب منه ، هذا الشبح الادمي الخفي ، ان يقبل الدعوة ،
وبذهب فوراً .

وكان قصر « لايدل » كبيراً رحيب القاعات والاباء ، يمتلكه المستر
دافيد كيلي ، وهو أحد الرجال الهدائين ذوي الشخصية الضعيفة ، وهو
لا يعدو ان يكون جزءاً من اثارات البيت . ولكن شخصيته الضعيفة لا
علاقة لها بعقله القوي . فقد وضع كتاباً في الرياضيات العليا لا يستطيع
ان يفهمه تسعون في المائة من القراء . الا انه - على عكس الرجال
التوابخ - لا يدع عقله القوي يشع حوله بالنور والجلذبية . ولهذا كثيراً
ما كان اهالي المنطقة يتذرون عليه بقولهم انه « الرجل الخفي » . فالخدم
بتتجاوزونه وهم يحملون الطعام الى الضيوف ، والضيوف ينسون ان
يلقاؤه عليه التحية عند وصولهم .

ولكن ابنته مادج كانت تختلف عنه كثيراً ، فهي شابة في نحو
الثلاثين من عمرها ، طوبلة القامة ، رائعة المظهر ، موفورة الحيوية
والنشاط ، سليمة الجسم ، جميلة الى حد كبير .

وكانت هي التي استقبلت المستر ساترويت عند وصوله بقولها :

- لشد ما سرني حضورك ، بعد ان اعتذررت اول مرة !

- اووه ، مادج ، يا عزيزتي ، انك تبدين في حالة طيبة .

- نعم . نعم . انتي دائمًا في احسن حال .

- اعرف هذا . ولكنني ارى ان هناك ما يجعل وجهك يشع بالسعادة
 والابتهاج ، فهل حدث شيء يا مزيزتي ؟ اعني شيئاً خاصاً ؟
 فاضطرم وجهها خجلاً وضحك قائلة :
 - دائمًا تصدق في استنتاجاتك يا مستر ساترويت !
 ثم أخذت يده بين يديها واردفت قائلة :
 - نعم يا مستر ساترويت ، يا عزيزتي ، لقد حدث شيء هام ، ووصل
 فارس الاحلام .
 فضحك ساترويت وقال :
 - اذن يجب ان اسألك من يكون هذا الفارس السعيد . كل ما
 أرجوه ان يكون جديراً بالشرف الذي تسبيغينه عليه .
 - اوه ، تأكد انتا سنسعد معاً ، فاننا نحب نفس الاشياء ، وهذا امر
 مهم جداً ، وآراؤنا متفقة في جوانب كثيرة . وكل منا يعرف الكثير عن
 الآخر ، والواقع ان هذا « الحدث » كان يختبر بیننا منذ امد بعيد . ولا
 شك ان هذا يفعم النفس بالاطمئنان . اليك كذلك ؟ .
 - نعم طبعاً . ولكن الانسان عادة لا يستطيع ان يعرف الحقيقة
 الكاملة عن اي شخص اخر . ولا شك ان هذا جزء من جمال الحياة .
 فضحك مادج وقالت وهي تمضي به الى الغرفة المخصصة له :
 - اوه ! لسوف استمتع بالفاجرة على كل حال .
 وتاخر المستر ساترويت عن موعد العشاء قليلاً ، لانه لم يصحب معه
 تابعه الخاص . وكان يحب ان يرتب حاجياته بنفسه ، وبعنایة خاصة .
 ومن ثم وجد جميع المدعويين حول مائدة العشاء حين وصل اليها ، وسمع
 مادج تقول بلا كلفة :
 - اوه ! اسرع يا مستر ساترويت ، فاننا نكاد نموت جوعاً . هلم
 بيداً .
 واستقبلته مع سيدة طويلة القامة ، وقد خط الشيب شعرها ،
 قوية الشخصية ، رنانة الصوت ، واضحة البرات .
 - كيف حالك يا مستر ساترويت ؟
 وجفل المستر ساترويت حين رأى المستر دافيد كيلي يحييه ، فقال
 معتداً :
 - معدرة يا مستر كيلي . فالواقع اني لم ادرك .
 - لا عليك ، فان احداً لا يراني عادة .

وأخذ الجميع يتبادلون الأحاديث والضحكات وهم يتناولون العشاء ، وكان هو يجلس بين مادج وبين فتاة سوداء الشعر ، قصيرة القامة ، عالية الضحكة ، قوية الإرادة كما يبدو من حديثها وصلابة ملامحها ، اسمها دوريس ، وكانت في جملتها من الطراز الذي لا يغolio اليه المستر ساترويت . والى جانب مادج من الناحية الأخرى جلس رجل في نحو الثلاثين من عمره ، يبدو من الشيب الواضح بينه وبين السيدة ذات الشعر الأشيب انه ابنها ، والى جانبه جلست فتاة جعلت المستر ساترويت يحبس انفاسه من قرط الدهشة والعجب .

انه لم يدر كيف يصفها ! انها لم تكن الجمال مجسما ، وإنما كانت شيئا اخر ، شيئاً أكثر مرئية وأكثر غموضا من الجمال .

كانت تنصت الى حديث المستر دافيد كيلي – والد مادج – وهى تميل برأسها جانبا . كانت موجودة ، ولم تكن موجودة في وقت واحد ، في رأى المستر ساترويت . كانت تبدو انها ارهف كثيرا من الناحية المادية البشرية من جميع الجالسين حول المائدة البيضاوية . وكان في تكوين جسمها نسق جميل ، بل اكثر من جميل ، وحين رفعت عينيها الى ناحية المستر ساترويت ، والتقت عينيه في نظرة دامت دقيقة ، اذا هو يجد التعبير الملائم : فاتنة !! نعم . كانت موفورة السحر والفتنة . ولم يرها يحسبها احدى هذه المخلوقات الرقيقة العذبة التي تحدثنا عنها الاساطير ، وكان مجرد وجودها يجعل الجميع يبدون اكثر واقعية ومادية .

ولكتها في نفس الوقت ، وبطريقة عجيبة غريبة ، كانت تشير في نفسه العطف والرثاء ، وكانما كانت رقتها البالغة التي تجعلها لا تشبه البشر ، تعوقها عن الظهور بالظاهر الطبيعي . ووجد المستر ساترويت يقول لنفسه : « ما اشبهها بطائر مهيف الجناح ! » .

ولما اطمأن الى هذا التعبير ، تنبه لنفسه ، وتمنى لو ان الفتاة دوريس الجالسة بجانبه لم تلحظ ذهوله ، ولكنه رآها مشغولة بالحديث الى رجل بجانبها لم يلحظه المستر ساترويت من قبل . واخيرا استدار هو الى مادج وقال بصوت خافت :

– من هذه السيدة الجالسة بجوار والدك ؟!

– المسئ جراهام ؟ اوه لا . لا شك انك تعني مابل . الا تعرفها ؟ مابل انيسلي ، انها من اسرة جلاديسي . واحدة من اسرة جلاديسي

المنحوسة الطالع !

ودهش لهذا التعبير ، ولكنه تذكر . فقد قتل شقيق في هذه الاسرة نفسه بالرصاص ، وغرقت اخت ، ومات ثالث في زلزال . انهما اسرة يطاردها النحس بشكل عجيب . ولا شك ان مابل هذه هي صغرى الاخوة والاخوات .

ومرة اخرى افاق من افكاره حين احس بيد مادج تضفط على يده تحت المائدة ، تم تهمس له في خبوت وهي تومئ براها نحو اليسار :
- هذا هو !

اواما المستر ساترويت برأسه سريعا في فهم وادراك . اذن فهذا هو الشاب جراهام الذي وقع عليه اختيار مادج . حسنا ، انه لم يكن في مقدورها ان تخثار افضل منه من ناحية المظهر . فقد كان وسيما ، طيفا ، طبيعيا في احاديثه ، ولا شك انه سيكون انساب زوج مادج .
ولما كانت مادج تتبع النظام القديم في آداب المائدة ، فقد تركت السيدات ينصرفن اولا من قاعة الطعام . ومن ثم اقترب المستر ساترويت من الشاب جراهام ، وراح يتحدث معه . ورغم انه تأكد من صدق حسه عنه ، الا انه لاحظ يد الشاب وهي ترتعش حينما كان يرفع الكأس الى شفتيه ، كما لاحظ انه شارد الذهن ، مشتبه في الفكر بعض الشيء .

وقال ساترويت لنفسه :

« ان هناك ما يشغل تفكيره ! وقد لا يكون بالأهمية التي يظنها ، وعلى كل حال ترى ماذا يشغل باله بهذه الصورة ؟ » .
وكان ساترويت قد اعتقاد ان يتناول بعض اقراسن الهضم عقب تناول الطعام ، ولما كان قد نسي علبة الاقراص في غرفته بالطابق الاعلى ، فقد صعد اليها ، وفي اثناء هبوطه ومروره في الدليل الطويل المؤدي الى غرفة الجلوس ، تسمم مكانه في منتصف الدليل امام باب غرفة كانت تسمى « غرفة الشرفة » ، وكان الباب مفتوحا قليلا ، ووضع القمر ينسكب في الفرفة من خلال نوافذها الشبكية ، ويرسم بخيوطه الفضية اشكالا هندسية عجيبة ، ورأى ساترويت على حافة النافذة سيدة جالسة ، مائلة الجسم قليلا ، تداعب باناملها اوتار قيثاره ، فتصدر نفمات عذبة حالية ، وصوتها الناعم الخافت يصاحب النفمات كأنه هديل الحمام . وكان ثوبها من الشيفون الفاخر ، الازرق اللون ، وكان مكشكشا ومقصصا حتى بدا كانه ريش طائر .

ودخل الفرفة ، خطوة ، خطوة ، حتى اذا اقترب منها ، ورأى وجهها ، ورأته ولم تندهش ، ولم تجفل ، فقال معتذرا :

— ارجو الا تكون قد ازعجتك !

— ارجوك .. اجلس !

وجلس بجانبها على مقعد من خشب الزان المصقول البراق . وبعده ان ترنمت بصوت ناعم ، قالت :

— ان هذه الليلة متشحونة بالفتنة والسحر . الا ترى هذا ؟

— نعم . ان فيها شيئاً كثيراً من السحر !

وقالت شارحة الموقف :

— لقد طلبوها مني ان آتني بقيثاري من غرفتي لا عرف لهم عليها ، وفيما انا امر على هذه الفرفة ، سحرني ضوء القمر ، وأحسست برغبة شديدة في الانفراد بنفسي ، في الغلام ، وفي ضوء القمر .

فنهض ساترويت معتذراً وقال :

— اذن فلا شك اني افسدت هذا الجو .

— لا .. لا .. لا تذهب ، انك زدته سحراً .

ولما جلس ، استطردت هي تقول :

— ان المدوع العجيب يزور هذه الليلة . وقد خرجت في غروب اليوم الى النابة ، والتقيت برجل ، طويل نحيل ، ملوح البشرة ، عجيب السمت ، كانه مهرج « هارليكون » تحت ضوء الشمس الفاربة المتسلل من اوراق الشجر .

ومال ساترويت الى الامام وقال :

— اه !!!

— وأردت ان اتحدث معه ، وقد بدا لي كاني اعرفه من قبل . ولكنه اختفى بين الشجر .

— اظن اني اعرفه !

— احقاً ؟ انه رجل عجيب ، اليك كذلك ؟

— نعم .

وساد الصمت برقة ، واراد ساترويت ان يقول شيئاً ، فلم يستطع الا ان يتمتم قائلاً في ارباك :

— ان الانسان ، عندما يشعر بالتعاسة ، يحب احياناً ان ينفرد بنفسه .

فقط ملته قاتلة :

- نعم . هذا حق . ولكنني اعتقد ان الاصح هو اني اردت الانفرا
- بنفسي لاني اشعر بالسعادة .
- اشعررين بالسعادة اذن ؟
- جدا ، جدا .

وكانت تتحدث بهدوء ، ومع ذلك فقد ادرك ساترويت انها حين تتحدث عن السعادة ، فانها تعني بحديثها شيئا اخر غير الذي تعنيه مثلا فتاة مثل مادج حين تتحدث عن السعادة . ان السعادة في رأي مابل آتيسلي لا بد ان تكون نوعا من اللذة والنشوة والمتعة البالغة .

و قال في حذر :

- انتي لم اكن اعرف .

- نعم . نعم . انك لم تعرف بعد . فانا لست الان سعيدة ، ولكنني ساغدو بعد ايام قليلة اسعد انسانة في الدنيا . سأكون كالرجل الذي عاش سنوات في غابة مظلمة رهيبة زاخرة بالمخاطر والمهالك ، وبعد ان كاد يموت يأسا ، اذا به يجد نفسه خارج الغابة ، يطل على مدينة الاحلام التي طالما هفا اليها وتمنى بلوغها ، ولم يبق عليه الا ان يخطو خطوة واحدة لتحقق له كل امانيه .

وقال ساترويت :

- ان كثيرا من الاشياء تبدو جميلة قبل ان نصل اليها ، وان اقبع الاشياء في العالم قد تلوح جميلة ونحن ننظر اليها من بعيد ، ونتمنى الحصول عليها .

توقف ساترويت عن الحديث حين سمع وقع خطوات وراءه ، فلما التفت ، رأى رجلا ينم وجهه على النباء والبرود ، وكان نفس الرجل الذي لم يشر اهتمام ساترويت اثناء العشاء .

و قال الرجل مابل :

- انهم في انتظارك يا مابل .

ونهضت مابل وقد تلاشت كل امارات السعادة من وجهها ، وقالت بصوت بارد هادئ :

- انتي آتية يا جيرارد ، كنت أتحدث فقط مع المستر ساترويت . وانصرفت عن الغرفة ، وتبعها ساترويت بعد ان القى نظرة سريعة على وجه زوجها - جيرارد - ورأى عليه مزيجا من اللهفة والحرمان

والياس .

وقال لنفسه : « يا للمسكين .. ييدو انه مسحور بزوجته ، ومحروم منها في نفس الوقت » .

وفي غرفة الجلوس ، جلست مابل بين المدعويين جميعا ، وأخذت تفني على نعمات قيثارتها ، والجميع يرددون المقطع الاخير من غنائهما . وفيما كان ساترويت يفكر في احدى الاغنيات الاثيرة لديه ، اذا بمال تقطيع غناءها ، وتتنظر اليه ، ثم تبتسم وتبدا في تردید هذه الاغنية التي يفضلها : « يا حمامي الجميلة .. » .

وانقضت البطلسة بعد ذلك ، وقدمت مادج الى الجميع الكوس الاخيرة ، بينما كان والدها دافيد كيلي يبعث باصابعه في اوتار القيثارة محاولا ان يلعب عليها في ذهول وشروع ذهن . وتبادل الجميع تحيات المساء ، واقترموا من باب الغرفة للانصراف الى مضاجعهم ، وكانوا جميعا ، كالمعتاد ، يتهدّلون في وقت واحد ، واخيرا انصرف جيرارد انيسلி زوج مابل تاركا وراءه الاخرين .

وخارج غرفة الجلوس ، تبادل ساترويت تحية المساء مع المسر جراهام والدة الشاب الذي تبادله مادج الحب ، وكان الطابق الاعلى سلمان : سلم قرب ، وآخر في نهاية الدهلizi . وصعدت المسر جراهام وابتها الى غرفتها في الطابق الاعلى عن طريق السلم القريب ، وهو نفس السلم الذي صعد عليه قبلهما جيرارد انيسلி .

وقالت مادج مابل :

— بحسن ان تأخذلي قيثارتك من غرفة الجلوس يا مابل ، لانك اذا لم تأخذتها الان ، فربما تنسينها غدا عند رحيلك ، لا سيما وانت تنويين الرحيل في ساعة مبكرة .

وقالت الفتاة دورس كولز وهي تمسك بذراع ساترويت :

— هلم يا عزيزي ، فقد آن وقت النوم .

وتناولت مادج ذراعه الاخرى ، وسار الثلاثة نحو السلم الذي في نهاية الممر ، وضحكات دورس تجفل في المكان كلها . وفي نهاية الممر ، وقفوا ينتظرون دافيد كيلي الذي جاء وراءهم وهو يطفئ الانوار الواحد بعد الآخر وهو في طريقه اليهم . واخيرا صعد الاربعة الى غرفتهم .



وفي صباح اليوم التالي ، بينما كان المستر ساترويت يتأنب للهبوط الى طعام الافطار ، اقبلت اليه مادج كيلي بوجه شديد الامتناع ، وقالت له وهي ترتعش بشدة :

- اوه .. مستر ساترويت . يا للفظاعة !

- ماذا حدث يا عزيزتي ؟

- مابل - مابل انيسلி !

- ماذا بها ؟

- شنقت نفسها الليلة الماضية في باب غرفتها . يا الهي !
وانهارت مادج باكية .

وهذا ساترويت من روعها بكلمات قليلة مألفة في مثل هذه المواقف ، ثم اسرع بالهبوط الى الطابق الاول حيث وجد المستر دافيد كيلي مضطرباً من تبكى يقول :

- لقد اتصلت بمركز البوليس تليفونيا يا مستر ساترويت . ويبدو انها ماتت ، هكذا قال الطبيب الذي فرغ الان من فحص جثتها . يا للفظاعة . لا شك انها كانت شقيقة في حياتها الى حد اليأس . والا لما فعلت بنفسها هذا !

- نعم نعم . هذا ما يبدو ، لا شك في هذا .

ثم تردد ببرهة ، واردف قائلاً :

- هل يمكن ان .. ان اراها ؟

- اوه . يمكنك طبعاً . لقد نسيت انك تهتم بمثل هذه الاحداث .
وتصعد معه على درجات السلالم العريض ، وهنالك في اول الطابق الثاني كانت غرفة روجر جراهام ، وفي مواجهتها ، غرفة والدته المسنة جراهام . وكان باب هذه الغرفة الثانية مفتوحاً قليلاً ، وتنساب منه سحابة خفيفة من الدخان .

وخامرته الدهشة عقل المستر ساترويت . فما كان يظن ان المسنة جراهام سيدة تدخن في بكوره الصباح بمثل هذه الكثرة .

وسارا معاً في المدخل حتى وصلا الى الباب قبل الاخير ، وفتحه المستر دافيد كيلي ودخل وراءه المستر ساترويت . وكانت الغرفة كبيرة تدل على انها غرفة رجال ، وفي الجدار اليسير منها باب اوسط يهضي الى غرفة مجاورة ، ومن اعلى الباب الثاني لهذه الغرفة كانت تتندلى قطعة من الحبل . اما على الفراش ، فكانت ترقد مابل ، جثة

هامدة ، رهيبة المنظر .

وقف ساترويت برهة ينظر الى المرأة التي كانت قبل ساعات
معدودة تبض بالحياة ، وبالسحر والفتنة ، وكانت لا تزال ترتدي ثوبها
الشيفون المكشش والمقصص كانه ريش طائر .

ونظر اخيرا الى الباب والى قطعة الحبل المدلاة منه ، ثم انتقل
بنظراته الى الباب الاوسط وقال لدافيد كيلي متسلما اليه :

ـ هل كان هذا الباب الاوسط مفتوحا؟!

ـ نعم . هكذا قالت الخادمة .

ـ لم يسمع انيسلي ، زوجها ، شيئا وهو نائم في هذه الغرفة
المجاورة؟

ـ يقول انه لم يسمع شيئا .

ـ هذا عجيب . اين هو؟

ـ انيسلي ؟ انه مع الطبيب في الطابق الاول .

ولما هبطا الى الطابق الاول ، وجد المفتش وتكفيلد ، الذي يعرفه
ساترويت ، في طريقه مع الطبيب الى غرفة القتيلة . وبعد لحظات ، عاد
المفتش وطلب من الجميع ان يجتمعوا في غرفة الجلوس .

وكانت دوريس كولز تمسح الدموع من عينيها وهي تبدو خائفة ،
وبدت مادج كيلي ، كعادتها ، ممتلكة لاعصابها ، وكذلك كانت المسن
جراهام ، رزيئة هادئة ، يعكس ابنها روجر الذي بدا مضطربا اشد
الاضطراب . اما المستر دافيد كيلي ، فكان ، كالمعتاد ، لا يكاد يحس
به احد . وجلس الزوج العززين ، بمفرده ، في جانب من الغرفة ، تطل
من عينيه نظارات ذاهلة شاردة كأنه لا يصدق ما حدث .

ورغم ما كان يبدو على المستر ساترويت من هدوء ظاهري ، الا انه
كان شديد الانفعال ، موفور الحماس للدور الذي سيقوم به في هذه
المأساة .

واقبل المفتش يتبعه الدكتور موريس ، ثم اغلق باب الغرفة وجلس .
وبعد ان تنهنج تحدث بكلمات قليلة مناسبة ، ثم قال :

ـ لسوف ابدأ الان بالحديث مع المستر انيسلي ، بصفته زوج ..
المتوفاة . ارجو يا مستر انيسلي ان تخبرني ، هل سبق ان سمعت
زوجتك تهدد بالانتحار؟

وقطع ساترويت شفتيه رغما عنه ، ولكنه أسرع وزمهما قاتلا لنفسه

ان في الوقت متسعًا للحديث فيما بعد .

وقال انيسلي بصوت متعدد جعل الجميع يرکرون انظارهم عليه :

- لا . لم اسمعها ابدا تهدد بالانتحار .

- هل كنت تعرف انها ، لسبب ما ، كانت شقية في حياتها ؟

- لا . لم اكن اعرف شيئا من هذا .

- الم تحدثك ، مثلا ، عن شعور مفاجيء بالانقباض وتوتر الاعصاب ؟

- لا . لا ابدا .

- هل يمكن ان يصف لي في ايجاز ما حدث ليلة امس ؟

- لقد ذهبنا جميعا الى غرفتنا لننام . وقد استغرقت في النوم فلم اسمع شيئا او اشعر بشيء . ولم أستيقظ الا على صراخ الخادمة في الصباح ، فهرعت الى الغرفة المجاورة عن طريق الباب الاوسط ، فوجدت زوجتي ، وجدتها ...

وأواما المفتش برأسه ، وقال :

- نعم . نعم . لا داعي للاستطراد في الحديث عما رأيت . ولكن اين رأيت زوجتك اخر مرة ليلة امس ؟

- هنا . في هذه الغرفة !

- هنا ؟!

- نعم . فقد كنت اول من انصرف منها ، وصعدت فورا الى غرفتي ، تاركا الجميع بتبادل الحديث قبيل ذهابهم الى غرفتهم .

- الم تزوجتك بعد ذلك ؟ الم تتبادل معها تحية المساء كالمعتاد عندما وصلت الى فراشها ؟

- كنت نائما عندما وصلت كما يبدو .

- ولكنها تبعتك فورا . اليك كذلك يا مستر كيلي ؟
ونظر الى ديفيد كيلي الذي اومأ برأسه . ولكن انيسلي قال باصرار :

- انها لم تكن قد عادت الى غرفتها رغم مرور نصف ساعة على وصولي الى غرفتي .

والتفت المفتش الى المزر جراهام وقال :

- هل دخلت غرفتك لتتبادل معك الحديث يا مزر جراهام ؟
وخيلا الى ساترويت ان المزر جراهام ترددت قليلا قبل ان تقول

بسبعين :

- لا . لقد اويت الى غرفتي ، وأغلقت الباب من الداخل ولم اسمع

شيئاً .

وعاد المفتش يسأل أنيسلி قائلاً :

ـ وانت يا سيدى ، تقول انك لم تر او تسمع شيئاً . الم يكن الباب الاوسط مفتوحاً ؟

ـ اخلن ذلك ! ولكن كان في مقدور زوجتي ان تدخل غرفتها من الباب الآخر ، المؤدي الى الدليل مباشرة .

ـ وحتى لو انها دخلت من هذا الباب ، فلا بد انك سمعت اصواتا معينة ، مثل حشرجة الاختناق ، او الاحتضار ، او الالم ، او اصطدام كعبها في الباب .

ـ لا . لم اسمع شيئاً .

وهنا لم يستطع المستر ساترويت ان يكبح جماح لسانه ، فقال :

ـ معدنة يا سيدى المفتش . انك تسير في طريق خاطئ . فان مابل انيسلி لم تنتحر ، وانما قتلت . وانا وافق من هذا !!

ـ وخيم الصمت الرهيب على الجميع برهة ، واذا المفتش يقول : ما الذي يدفعك الى هذه الثقة ؟

ـ شعوري الخاص . وهو شعور قوي .

ـ ولكنني اعتقاده لا بد ان يكون هناك سبب اقوى من مجرد الشعور .

وقال ساترويت لنفسه :

ـ « طبعاً هناك سبب اقوى ، انها رسالة كوبن الخفية . ولكنني لا استطيع ان اقول هذا للمفتش » .

ـ وبصوت مسموع قال :

ـ في الليلة الماضية ، عندما كنت اتحدث معها ، قالت لي أنها سعيدة ، سعيدة جداً جداً . أنها سوف تغدو بعد أيام قليلة اسعد امرأة في الدنيا ، فكيف يتفق هذا مع الانتحار ؟

ـ ثم اردف قائلاً بصوت الرجل المنتصر :

ـ وقد عادت الى غرفة الجلوس لثاني بقياً لها حتى لا تنساهما عندما ترحل عن القصر في ساعة مبكرة من الصباح ، فهل هذا سلوك امرأة تنوى الانتحار في نفس الليلة ؟

ـ فقال المفتش موافقاً :

ـ لا . طبعاً لا .

تم استدار الى دافيد كيلي وقال له :

ـ هل اخذت معها قيئاتها الى غرفة نومها ؟

ففكر دافيد كيلي برهة ثم قال :

ـ نعم . اعتقاد هذا . لقد صعدت درجات السلم وهي تحملها . فانا اعتقاد اني رأينها في يدها وهي تنطفف في منحني السلم قبل ان اطفي الانوار .

فهتفت مادج قائلة وهي تشير الى مائدة قربية :

ـ عجبا ! ولكن القبضارة موجودة هنا في هذه الغرفة ، على هذه المائدة .

فقال المفتش وهو يخطو بسرعة ويضغط على جرس الخدم :

ـ هذا غريب !

ولما حضر احد الخدم ، طلب منه استدعاء الخادمة المخصصة لترتيب الغرف في الصباح وكانت الخادمة ، حين اقبلت ، واقفة من احبابها .

فقد قالت : ان القبضارة كانت اول شيء رأته في هذه الغرفة ، غرفة الجلوس ، عندما جاءت لترتيبها في الصباح .

وصرفها المفتش وتكتبلد ؛ ثم قال وهو نلوي شفتيه :

ـ احب ان اتحدث على انفراد مع المستر ساررويت . ارجو من الجميع الانصراف الان ، على الا يفادر احد الدار .

وقال ساررويت متملما بعد ان انصرف الجميع واغلقوا وراءهم الباب :

ـ انا وافق تماما يا سدي المفتش ان خطوط القضية قد اصبحت كلها بين اصابعك . الواقع انى احسست بان في الامر جريمة ، وان احساسى في هذه الناحية قوى .

ـ انك على حق يا مستر ساررويت . فهذه السيدة لم تنتحر ، وانما قتلت .

فقال ساررويت مدهوها :

ـ اكنت تعرف هذا ؟

فاجاب المفتش قائلا وهو ينظر الى الدكتور موريس الذي ظل جالسا في هدوء :

ـ هناك بعض الفواهر التي اثارت شكوك الدكتور موريس . وبعد الفحص الدقيق ، تبت لنا ان الجبل الذى وجدناه حول عنقها ، لم يكن

نفس الجبل الذي اختنقت به . لقد اختنقت بجبل اقل سماكا بكثير .
جبل رفيع جدا يشبه السلك ، لانه غاص في لحم المنق . وبعد ان تم
ختقها لف عنقها بالجبل الآخر المعلق بباب غرفتها لكي يسود الامر كانه
حادث انتحار .

ـ ولكن .. من ؟!

ـ هذه هي المشكلة : من القاتل ؟! ما رايوك في الزوج الذي ينسام في
النرفة المجاورة . والذى لا ينبدل مع زوجته تجية المساء ، والذى لم
يسمع شيئا ؟ اعتقد ان الامر واضح بالنسبة اليه . ويحسن ان نعرف كيف
كانت الحياة الزوجية بينه وبين المجنى عليها . فهل يمكن ان تساعدننا في
هذا الامر يا مستر ساررويت ؟

ـ فشد ساررويت فامته . وقال محتاجا :

ـ ارجو با سبدي المفتش ان نعفيه من . . .

ـ ليست هذه اول جريمة غامضة تساهم في كشف اسرارها يا
مستر ساررويت . انك موهوب في هذه الناحية .

ـ وقال ساررويت بابتسام :

ـ لسوف ابدل جهدي يا سيدى المفتش .

ـ هل جيرارد انسلي هو قاتل زوجته حقا ؟ ان ساررويت يتذكر
النظرة اليائسة التي رأها تطل من عينيه في الليلة الماضية . لقد كان
يحبها ، وكان يشقي بها الحب . والشقاء في الحب يدفع المحب احيانا
إلى افعال عجيبة شاذة .

ـ ولكن هناك شيئا آخر ، حقيقة اخرى . لقد تحدثت مابل عن نفسها
كأنسانة توشك ان تخرج من غياه غابة مظلمة الى نور مدينة الاحلام .
كانت تتوقع السعادة ، سعادة من نوع كله السعة واللذة والسرور العميق
المركز .

ـ فإذا كان جيرارد انسلي قد صدق في قوله ان زوجته لم تأت الى
غرفتها حتى بعد مرور نصف ساعة من وصوله الى غرفته . ومع ذلك
فقد شهد ديفيد كيلي انه رأها تصعد الى الطابق الثاني عقب اصراف
الجميع من غرفة الجلوس . ان في هذا الطابق الثاني ، غرفتين يقيس
فيهما مدعوان آخران : هما المسز جراهام ، وابنهما ، روجر جراهام .
ـ وقد انكرت المسز جراهام ان مابل تخلفت في غرفتها للحديث معها !
ـ لم يبق اذن غير روجر !

ولكن روجر يتبادل الحب مع مادج كيلي ، وسوف يعلنان خطبيهما قريبا .

وفجأة تذكر المستر ساترويت الدخان الذي رأه ينساب من غرفة المسز جراهام ، وعجب من أمره . وتصرف بالغرفية والحافز المفاجئ . فاسرع الى غرفة المسز جراهام ، ووجدها خالية ، فأغلق الباب بالفتاح من الداخل ، وادار نظره في اتجاه الغرفة ، وحانت منه نظرة الى قاعدة المذفأة حيث وجد كومة الرماد التي تدل على ان اوراقا كثيرة كانت تحرق فيها . ولم ييأس ، وانما راح يبعث في الرماد حتى شر على قصاصات لم يتم احتراقها ، فتناولها برفق ، وقرأ فيها هذه العبارات المتناثرة : « لا يمكن ان تصبح الحياة اجمل وأروع مما نحن فيه يا عزيزي روجر ... انتي لم اكن اعرف ... كل حياتي كانت كابوسا مرعبا حتى عرفاك يا روجر ... »

« اظن ان جيرارد عرف كل شيء ، انتي آسفة . فماذا يمكنني ان افعل ؟ ليس في الدنيا شيء حقيقي غيرك . لسوف نسعد بالحياة معا قريبا ... » .

« ماذا تنويني ان تقول له في قصر لايدل يا روجر ؟ انك تكتب بطريقة غامضة .. ولكنني لست خائفة » .

ووضع المستر ساترويت هذه القصاصات بعناية في مظروف اخلد من منضد الكتابة . ثم خطا نحو الباب وفتحه ، ليجد نفسه وجها لوجه امام المسز جراهام .

وكان يعرف في مثل هذه المواقف الحرجة ان الهجوم خير وسيلة للدفاع . ومن ثم قال :
— كنت افتش عن غرفتك يا مسز جراهام ، وقد عثرت على مجموعة من الرسائل لم تحرق تماما .

ولاح الفزع في وجهها برهة خاطفة ، ولكنها لم تلبث ان استردت هدوءها ، فعاد ساترويت يقول :
— رسائل غرامية من مسز انيسلி الى ابنك روجر .

فترددت برها ، ثم قالت :
— هذه حقيقة لا استطيع انكارها . ولهذا رأيت ان من الافضل احراقها .

— لماذا ؟

— لأن ابني سيتزوج قريبا ، وهذه الرسائل ، اذا عرف امرها بعد

انتحار المسكينة ، ستشير فضائح لا داعي لها .
 - كان يمكن ان يتولى ابنك احرافها ؟
 ولما لم تجب . استغل ساترويت هذه الفرصة واردف قائلاً :
 - انت قد عثرت على هذه الرسائل في غرفته ، فحملتها الى غرفتك
 لاحرافها ؛ فلماذا يا مسر جراهام ؟ هل كنت خائفة من شيء ؟
 - انتي لم اتعود ان اخاف شيئاً يا مسiter ساترويت .
 - نعم . ولكن هذه حالة خاصة تدعو الى الاضطراب والخوف .
 - الاضطراب والخوف لا
 - نعم ، الخوف من ان يلقى القبض على ابنك بتهمة القتل .
 - القتل ؟!
 ورأى مدى امتناع وجهها ، فاسرع يقول :
 - لقد سمعت المسر انسلى وهي تدخل غرفة ابنك الليلة الماضية ،
 وبيدو انه اخبرها عن غرامه بمادج كبلي ورغبتها في الزواج بها ، فشارت
 عليه ، وحدلت بينهما مشادة عنيفة .
 - هذا كله كذب .
 وكان قاتلها هو روجر جراهام بعد ان وصل اليهما دون ان يشعر
 به احدهما .
 ثم اردف قائلاً :
 - حسناً يا اماه . لا تقلقى . بحال الى غرفتي يا مسiter ساترويت .
 وتبع ساترويت الشاب الى غرفته : ولم تحاول الام ان تمضي
 وراءهما ، وأغلق روجر باب الغرفة من الداخل ثم قال :
 - اسمع يا مسiter ساترويت ، انك تظن اني قتلت مابل . تظن انى
 قتلتها هنا ، ثم حملتها بعد ذلك وعلقتها في باب غرفتها عندما استغرق
 الجميع في النوم . اليك كذلك ؟!
 وحملق ساترويت في وجهه مندهشاً ثم قال :
 - لا . انى لا اظن هذا .
 - حمداً لله . لانني لم اكن استطيع قتل مابل . فقد كنت احبها ،
 او هكذا توهمت . فانا في الواقع لا ادري هل كان حباً ام وهما . ولكننى
 اميل جداً الى مادج ، وكانت دائمًا اميل اليها . وهي في الحقيقة خير
 زوجة . اما مابل فانها تختلف كثيراً . ولست ادري ماذا اقول . انها
 سحرتني ، وانا كنت اشعر بالخوف منها .

وأوما ساترويت برأسه ، بينما استطرد روجر قائلاً :

ـ واردت ان اضع نهاية لعلاقتي ببابل ، و كنت انوى ان احدثها في
هذا الامر في الليلة الماضية .

ـ ولكنك لم تفعل ؟

ـ لا ، لم افعل . واقسم لك على هذا . انتي لم ارها بعد ان تبادلت
معها تحيية المساء في الطابق الاول .
ـ انتي أصدقك .

ونهض وهو يُوكد لنفسه ان روجر ليس هو القاتل . لقد كان يود ان
يفر منها ، لا ان يقتلها . لقد ادرك اخيرا انه كان مفتونا مسحورا بها ،
ولكنه قرر ان يتحرر من ربيقة هذا السحر ، وان يلجا الى مرفا امين . الى
فترة لطيفة هادئة متزنة مثل مادج .

وهي بط ساترويت الى غرفة الجلوس ، فوجدها خالية : ولكنه رأى
قيثارة مابل موضوعة على النافذة ، فتناولها وراح يداعب اونارها في
شroud ذهن ، ورغم انه لم يكن يجيد العزف على الآلات الوتيرية ، الا ان
اذنه المرهفة ادركت وجود نسمة نشاز واضحة في الوتر الفليطي الاول .
وعينا حاول ان يضبط الوتر ، وفجأة اقبلت دوريس ونظرت اليه في
عناب وهي تقول :

ـ اووه ، هذه قيثارة مابل المسكينة !

فقدتها ساترويت اليها وقال :

ـ هل يمكن ان تصبطي لي هذا الوتر ؟

ـ نعم . طبعا .

وتناولتها منه ، وما كادت تضفط على مفتاح ضبط الوتر حتى
فوجئت به ينقطع فهتفت قائلة وهي تفحصه :

ـ عجبا !! انه ليس الوتر المفروض ان يوضع في هذا المكان . انه
وتر من النوع «ا» وليس هذا موضعه . ولهذا انقطع حينما اردت ان
اضبطه . ما احمق بعض الناس !

ـ نعم . ما اشد حماقة بعض الناس حين يظنون انهم عباقرة .
وكان في ثبرات صوته ما جعل دوريس تنظر اليه في عجب وتساؤل .
ولكنه تناول الوتر المقطوع منها ، ومضى به الى غرفة المكتبة ، حيث وجد
المستر دايفيد كيلي ، فقال له وهو يقدمه اليه :

ـ هاك يا مستر كيلي .

فتناوله دافيد كيلي منه وقال :

ـ ما هذا ؟

ـ وتر مقطوع . ماذا فعلت بالوتر الاصلی يا مسٹر کیلی ؟

ـ الوتر الاصلی ؟

ـ نعم . الوتر الذي خنقته به مابل انيسلی . لقد كنت بارعا في ارتكاب هذه الجريمة ، اليك كذلك ؟ لقد ارتكبها بسرعة بالغة ، اي في الوقت الذي كنت امضي فيه مع دوريس مادج الى السلم الآخر في نهاية الدهلiz . اليك كذلك ؟ لقد عادت مابل الى غرفة الجلوس لتأخذ قيشارتها ، وكانت انت قد انزعست الوتر اثناء مداعبتك للالوان بأصابعك ونحن ننصرف من العرفة . فلما دخلت الغرفة . فاجأتهما من الخلف ولفعت الوتر حول عنفها ، وخنقها به . ولا شك ان حشرجتها ضاعت في زينين ضحكات دوريس ونحن في الدهلiz ، وبعد ذلك خرجت من الغرفة ورحت تطفئ الانوار حتى انضممت اليها . وفي سكون الليل ، فيما بعد ، عدت الى غرفة الجلوس ، وحملت جثتها ، وعلقتها في باب غرفتها . ثم وضعت وترا اخر في القيشارة ؛ ولكنك لم تفطن الى انك وضعست وترا مخالفا للوتر الاصلی . وهذه هي الهفوة التي كشفت امرك .

ـ ولما لم يجب دافيد كيلي بشيء ، اردف سانرويت قائلا :

ـ ولكن ، لماذا فعلت هذا ؟ لماذا ؟

وفجأة ارسل دافيد كيلي ضحكة عالية جوفاء رهبة الرعب جهات سانرويت يشعر بالعشيان ، ثم قال :

ـ لشد ما كان الامر بسيطا ! هذا هو السبب . وهناك سبب اخر ، هو ان الناس جمیعا كانوا لا بلحظوني . كانوا يحسون اني کم مهملا قيمة له . ولم يكن بينهم من يحاول ان يهتم بأمری او يعرف ماذا افعل . وقد اردت ان اسخر منكم جمیعا .

ومرة اخرى ارسل ضحكة رهبة وهو يحملق في وجه سانرويت بعينين بطل منها الجنون .

وتنهد سانرويت في ارتياح عندما رأى المفتش ونکفلد يدخل الغرفة في تلك اللحظة .



وبعد اربع وعشرين ساعة ، استيقظ المستر ساترويت من نومه في
مصورته بحركة النوم بالقطار الذاهب الى لندن ، ثم اذا هو يفاجأ برجل
طويل نحيل ملوك البشرة يقف امامه . وتمتم قائلًا بلا دهشة :
— عزيزي المستر كوين ؟
— نعم . انتي هنا .
— انتي خجول من نفسك . لقد فشلت في مهمتي .
— احقا فشلت ؟
— انتي لم استطع انقاذهَا !
— ولكنك اكتشفت امر القاتل .
— نعم . نعم . فقد كان من الممكن ان يتهم احد الشباب من المدعون
بقتلها ، وبذلك انقذت واحدا منهم من الموت ظلما . ولكن .. هذه المخلوقة
المجيبة ، الساحرة ..
— هل الموت هو اسوأ شيء يمكن ان يحدث للانسان ؟
— انتي ، انتي لا ادرى . ربما لا .
— لو انها عاشت ، الم يكن من المحتمل ، او المؤكد ان تثير فضيحة
تفسد بها حياتها ، وحياة زوجها ، وحياة مادج روجر جراهام ؟
— نعم .. نعم .. ولكن ..
ورفع ساترويت عينيه ، واذا به لا يجد اثرا للمستر كوين امامه .

الفصل السابع

آخر الدنيا

كان المستر ساتزويت ، رغم ثراه الواسع ، من أولئك الذين يحبون مصاحبة الكبار وذوي اللقب الفخمة الضخمة ايا كانت عيوبهم . فلا عجب اذا احس بالرضا والبهجة حين طلبت منه الدوقة او夫 ليث ان يصحبها في رحلة صيفية الى جزيرة كورسيكا .

كانت سيدة في مثل سنه ، ترتدي عادة الملابس السوداء المرصعة بمجموعة الجوادر الضخمة التي ورثتها عن آبائها واجدادها . وكانت عادة تثبت هذه الجوادر في ملابسها كما كانت تفعل امها ، حتى ان بعض الظرفاء كانوا يتندرون عليها قائلين انها تعودت ان تقف في وسط غرفتها وتترك خادمتها تتدفق بالجوادر ذات المشابك عليها فتشتت كل قطعة !

وكانت حرية في اتفاق المال : فهي تطلب من اصدقائها دائمًا ان يغيروها سياراتهم ، او يدعوها تركب معهم من مكان الى اخر ، كما تعودت ان تشتري جميع حاجياتها من الاماكن التي يسمح فيها بالمساومة في الشراء .

ولكنها ، مع هذا الحرص ، كانت تتبرع ببالغ طائلة للجمعيات الخيرية ، وتعامل مستأجرى املاكها بالعدل والحسنى .

ولما كانت دائمة الشكوى من ارتفاع مستوى المعيشة في شاطئ الريفيرا ، فقد قررت ان تمضى فترة مع المستر ساترويت في جزيرة كورسيكا ، حيث ينخفض مستوى المعيشة ، وحيث تكثر الاماكن الال�ية والسياحية الجديرة بالفترة .

وفي بهو فندق متواضع بميناء اجاكيو ، جست الدوقة مع المستر ساترويت قبض وصولهما بحرا الى الميناء . وبعد ان تناولا طعام افطار خفيف وشربا القهوة ، رفعت منظارها الي اليدوي الى عينيهما ، وطافت بنظراتها على الجالسين في الـ بهو ، ثم هتفت فجأة :

ـ عجبا عجبا ! لن اكون الدوقة اوف لى ثـ اذا لم تكن هذه هي نوامي كارلتون سميث .

واشارت الى فتاة كانت جالسة بمفردها الى مائدة بجانب النافذة ، مرتدية ثوبا رخيصا قاتم اللون ، وبيدو شعرها الاسود متهدلا بغير عنانة او تصفيف . وسألها المستر ساترويت قائلا وهو يتأمل الفتاة :

ـ فنانة ؟

ـ نعم . او هكذا تقول عن نفسها . فانا اعلم انها تعيش في دفن عجيب من اركان العالم ، فقيرة ، معدمة ، ولكنها اشد كبراء من ابليس ، وهي مفروورة بالوراثة مثل جميع آل كارلتون سميث . ان امها كانت ابنة عمي مباشرة .

وبعد برهة من الصمت استطردت تقول عن نوامي :

ـ انها دائمًا عدوة نفسها فقد عقدت خطبتها الى شاب بغيض صلوك يشتغل بتاليف المسرحيات ونظم الشعر وما الى هذا من الكلام الفارغ . وطبعا لم يوجد من يشتري انتاجه ، فسرق جواهر بعض الناس ، وقبض عليه ، ولا اذكركم سنة صدر الحكم بحبسه . اظن خمسة اعوام . ولا شك انك تذكر هذه القضية ، فقد كانت في الشتاء الماضي .

ـ في الشتاء الماضي كنت في مصر . وبعد توبة برد عنيف ، نصحني

الاطباء بتمضية الشتاء في مصر .
وعادت الدوقة تحدق النظر في وجه الفتاة بمنظرها من بعيد ، ثم
قالت :

ـ يلوح لي ان هذه الفتاة في حالة ضنك شديد ، وان لا
اسمح بذلك .

ونهضت وسارت الى مائدة الفتاة ، ثم نوقفت وربت كتفها وقالت :
ـ نوامي . يبدو انك لا تذكريني ؟
فوقفت الفتاة في تردد وقالت :
ـ انتي اذكرك يا دوقة ، فقد رأيتكم وانت تتنزلين بهذا الفندق ،
وخطر لي انك ربما لن تعرفيوني .
وكانت تتحدث بصوت متراخ ممطوط . ولكن الدوقة تجاهلت هذه
النبرات وقالت آمرة :

ـ عندما تفرغين من تناول طعامك ، تعالى الي في الشرفة .
وتشاغبت نوامي .

وبعد لحظات انضممت الى الدوقة والمستر ساترويت ، وتهالكت في
مقعدها بنفس الحركة المترافية المستهترة ، وهنالا اتيحت لساترويت
فرصة تأمل وجهها . وقد قرر في النهاية انه وجه اخطاء الجمال ، ولكنه
يتم على ذكاء و .. شقاء .

وقالت لها الدوقة بنشاط :
ـ حسنا يا نوامي ! وماذا تفعلين الان بنفسك ؟
ـ اووه . لا ادرى . انفوج على الدنيا فقط .
ـ اترسمين ؟
ـ قليلا .

ـ ارجني رسومك .
وابتسمت نوامي في استهتار للجهة الامرة التي تتحدث بها الدوقة
ولكنها غابت لحظات ، ثم عادت بمجموعة صغيرة من لوحاتها الحديثة ،
واخلت تعرضاها على الدوقة وعلى المستر ساترويت وهي تقول لل الاولى :
ـ صارحيني برأيك فيها ، ولو اني اعرف هذا الرأي مقدما .
وقالت الدوقة عن الصورة الاولى :
ـ اين اولها ، وain آخرها ؟ انتي لا اعرف ان كانت في وضع معتدل
ام مقلوب .

وعن اللوحة الثانية قالت :

ـ ما أقطع هذا ؟

وقال المستر ساترويت :

ـ ان هذه اللوحة تثير الرعدة في النفس !!

فابتسمت الفتاة وقالت :

ـ هذا ابلغ ثناء عليها ، لأن هذا هو المقصود منها فعلاً .

وكانت اللوحة ترمز لمجموعة من الفواكه العطنة تعبث فيها الديبان
فساداً ، وكانت مرسومة ببراعة واتقان وموهبة فنية جعلت ساترويت
يقول :

ـ ما ثمن هذه اللوحة ؟

ـ ان كل لوحة ثمنها خمسة جنيهات . يمكنك شراء ما يعجبك منها .

ـ اني اريد هذه اللوحة بالذات .

ـ احسنت الاختيار . فهي افضلها جميعاً .

وكانت في هذه المرة تتحدث اليه بصوت ينم على التقدير والاحترام
بعد ان ادركت مدى ما يتمتع به من ذوق فني . اما هو فقال :

ـ اؤكد لك ان هذه اللوحة بعد سنوات معدودة ستتساوي ثروة
كاملة اذا خطر لي ان ابيعها .

ونظرت الفتاة اليه طويلاً وقد بدا من نظراتها ان احترامها له
قد تضاعف .

وقالت الدوقة :

ـ لن يستطيع احد ان يقنعني ان هذه الطريقة في الرسم نوع من
الفن بالي حال . حسناً ، اني سأمكث هنا بضعة ايام فقط ، واحب ان
استمتع بمشاهدة الجزيرة . ان لديك سيارة يا نوامي ، اليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ عظيم جداً . غداً نقوم في سيارتك برحالة الى الجبال .

ـ انها سيارة صغيرة ذات مقعدين فقط .

ـ ولو . لا بد ان لها مقعداً صغيراً خلفياً يمكن للمستير ساترويت ان
يجلس فيه .

وارتعد ساترويت وهو يتذكر طرق الجزيرة الجبلية الخطيرة ، ولكن
الفتاة اسرعت تقول :

ـ انها سيارة مستعملة قديمة لا يمكن ان تحمل ثلاثة اشخاص في

طريق جبلي صاعد . يمكنك يادوقة ان تستأجرى سيارة من جراج بالمدينة .
بالمدينة .

- استأجر سيارة ؟ يا للفضيحة !! ترى من ذلك السيد ذو الوجه
الاصلع الجالس هناك ، والذى اقبل الان في سيارة باربعة مقاعد ؟
- انه المستر توملينسون ، قاض هندي متلاعى .
- هذا هو سر صفرة بشرته . ولكن يبدو انه انسان لطيف مهذب .
سوف اتحدث معه .

وفي المساء وجد ساترويت الدوقة ، في ثوب من المخمل الاسود ،
المرصع بجميع جواهرها ، تتبادل الحديث في اهتمام مع صاحب السيارة
ذات المقاعد الاربعة في بهو الفندق . ولما لمحته ، اشارت اليه تدعوه
قائلة :

- تعال يا مستر ساترويت . ان المستر توملينسون يحدثني عن
اعجب الاشياء ، وفوق هذا ، فقد تطوع ليصحبنا في رحلة جبلية غدا
بسياحته .

وبنظر ساترويت اليها في اعجب شديد ، بينما اردفت هي قائلة :
- هلم الى طعام العشاء يا مستر ساترويت ، ويمكن للمستير
توملينسون ان يجلس الى مائدةنا ويستطرد في احاديثه الممتعة عن
عجائب الهند .

واخيرا ، بعد العشاء ، وبعد انصراف المستر توملينسون ، قالت
الدوقة :

- انه رجل لطيف مهذب .

- ومتلك سيارة لطيفة مهذبة !

- يا خبيث !!

وضررت بطرف مروحتها على بده مداعبة ، نم اردفت قائلة :
- وسوف تأتي نوامي ايضا ، في سيارتها . ان هذه الفتاة تحتاج
الي من يأخذ بيدها ليخرجها من نطاق نفسها . انها انانية جدا ، لا تهم
بأحد ، ولا يهمها الا نفسها .

- انتي ادرى الامر على التقىض ، اذ يخيل لي انها شديدة الاهتمام
بشئ معين ، ولكنها تقف عاجزة ، لا تدري ماذا تفعل ، ولهذا فهي تسلك
سلوك الانسان اليائس .

- اووه . لا تكن احمق يا ساترويت . دعك من الفتاة ، وانصت الي
بشأن ترتيبات رحلة الفند .

وانصت ساترويت ، لأن الانصات كان الطابع الواضح في حياته .
وبدأوا الرحلة في صباح اليوم التالي ومعهم طعام الفداء . واخذت
نامي على عاتقها أن تكون الراية والمرشدة لأنها أمضت في الجزيرة بضعة
أشهر .

وذهب المستر ساترويت إليها وهي جالسة في سيارتها تنتظر
وقال لها :

- هل أنت واثقة بأنك لا تستطيعين أن تسمحي لي بالركوب معك ؟
- إنك ستكون أكثر راحة في السيارة الأخرى ذات المقاعد الوثيرة القوية ، أما سيارتي هذه ، فإن من الخطير ركوبها في طريق جبلي وعر .
- ولكن إذا كنت ستركتبيناها ، فلماذا لا أركبها معك ؟
- فنظرت اليه بامتعان وقالت :
- ولماذا تركب معى ؟

هل يقول لها لأنه يرى من تصرفاتها ، ومن أفعالها لنفسها ، ومن نظرات عينيها أنها تفكك في الانتحار ، وأنها قد تنهي فرصة هذه الرحلة لتنتحر بطريقة تبدو للجميع أنها مجرد حادث وقع بالقضاء والقدر ؟ .
لا . إنه لا يستطيع أن يصارحها بهذا ، لأنه قد يكون مخطئاً في تصوراته .

ولما رأى أن الموقف سيخرج ، قال :

- حسنا ، ربما تسمحين لي بالركوب في رحلة العودة .
- وهنا أرسلت ضحكة عجيبة النبرات ، وقالت :
- نعم . نعم . في رحلة العودة ، إذا شاء لنا القدر أن نعود .
- وبدأت الرحلة . وانطلقت سيارة نامي في المقدمة ، سريعة كالطائرة ،
- وظلت السيارة الثانية تتبعها في الطريق الجبلي الصاعد دائماً ، وكان الهواء يزداد بروادة كلما امعنا في الصعود حتى أصبح يهب عليهم قاطعاً ، كحد السكين ، وفجأة اوقفت نامي السيارة ونظرت وراءها ، ثم
- قالت :

- لقد وصلنا إلى آخر الدنيا . واعتقد أن الجو سوف يضطر布 بعد قليل .

وهبط الجميع بالقرب من قرية في قمة الجبل ، مكونة من عشرة أكواخ حجرية ، في مدخلها لافتة مكتوب عليها : « كسوتي تشيافيري » .
ولكن نامي قالت :

ـ هذا هو اسمها الرسمي ، ولكنها تسمى بقرية « آخر الدنيا » .
وسارت خطوات قليلة حتى انضم اليها ساترويت ثم توافت امام حاجز جبلي ضخم وقالت :

ـ هذا هو نهاية الطريق الوحيد في القرية . وليس بعده شيء اي اننا الان في بداية ما لا تعرف نهايته ، فالانسان في اي مكان في الدنيا يستطيع ان يختار الاتجاه الذي يواصل المسير فيه ، يمينا ، او يسارا ، او اماما . ولكن الانسان في هذا الموضع لا يستطيع الا ان يعود ادراجه ، ولهذا سماه الاهالي : آخر الدنيا !

ـ وتنفس المستر ساترويت بعمق وقال :
ـ هذا مكان عجيب فعلا ، يمكن ان يحدث فيه اي شيء ، او يلتقي فيه ب اي شخص ..

ـ وتوقف عن الحديث فجأة حين لمح رجلا يجلس على صخرة نائمة ينظر الى ناحية البحر الذي يبدو بعيدا . ولم يكن احدهما قد وآه من قبل في تلك المنطقة ، وكانت هى انبثق فجأة من المناظر المحيطة بها .
ـ وقبل ان يقول المستر ساترويت شيئا ، اذا بالرجل يستدير نحوه ،
ـ واذا هو يقول :

ـ عجبنا ! انه المستر كوين . دعني يا مس كارلتون سميث اقدم اليك المستر كوين . انه اعجب شخصية عرفتها . اليك كذلك يا مستر كوين ؟
ـ انك دائما تظهر في الوقت المناسب .

ـ وتوقف فجأة وقد شعر انه يتحدث بعبارات لا معنى لها ، هذا بينما كانت نوامي تصافح المستر كوين وتقول له :
ـ اننا هنا في نوهه ببلية ، ولكن يبدو اننا سنموت جميعا متجمدين من البرد والثلج .

ـ وقال المستر ساترويت وهو يرتعش :

ـ ربما نستطيع ان نجد مكانا نتحمى به . ان المس كارلتون سميث تسمى هذا المكان اخر الدنيا .
ـ نعم . انه اسم ينطبق عليه فعلا . هذه سيارتك يا مس كارلتون سميث ؟

ـ نعم ، انها كما ترى صغيرة وعتيقة !
ـ ان قيادتها تحتاج الى براعة خاصة ، فان اقل خطأ في الانحراف ، او في استجابة الفرامل يؤدي الى انقلابها في احدى الهوايات .

ولما انضموا الى الدوقة والقاضي الهندي ، قدم المستر ساترويت صديقه اليهما ، ثم انفردت به المس كارلتون سميث وقالت له في حدة :
- من هذا الرجل ؟

- انتي شخصيا لا ادري تماما ، لقد عرفته منذ اعوام ، ونحن للتنبي مصادفة بين الحين والآخر ، وفي ظروف عجيبة .

- ولكنه من الذين يعرفون الاسرار التي تنطوي عليها النقوس . هذا ما يبدو بوضوح ، فان نظراته نفاذة ..

- نعم . نعم . ان الانسان لا يسمعه يا مس كارلتون سميث الا ان يخافه من نظراته .

وفي تلك اللحظة سقطت من الجو ندفة من الثلج على وجهه ، ثم اذا الجليد يتتساقط في سرعة وغزارة جعلت الجميع يرحبون باقتراح المستر كوبن حين قال انه يعرف كوخا حجريا في نهاية المنازل ، مخصصا لايواء السائحين الذين يفاجئهم الجو بتقلباته . وفي اثناء الطريق اليه ، قال :

- المعتقد ان يكون لدى السائح مؤونته من الطعام كما هو الشأن معكم ، ولكن صاحبة الكوخ تقدم للضيوف القهوة نظير اجر بسيط .

وكان الكوخ مكونا من غرفة موسّطة الحجم ، لها نافذة صغيرة في جانب منها ، وفي الجانب الآخر مدفأة ضخمة تشبع منها حرارة النيران .

وكان ثمة امراة كورسيكية تغذي هذه النيران بحزم من الحطب الجاف . وفي نهاية الغرفة ، امام طاولة خشبية ، كان ثمة ثلاثة اشخاص من

السياح يجتمعون ايضا بالكوخ من الصفيح المنهمر . كانوا رجلاً وسيدة ، سيدة بدت كأنها دوقة حقيقة ، او نموذج للممثلة الاولى في مسرح

عربي . طويلة القامة ؛ بلاتينية الشعر ، ابنة الملابس ، رائعة السلوك .

كانت تعتمد بذقنها على يدها ، وتمسك بالاخري شطيرة مستطيلة مستديرة . وعلى جانبها الاسر جلس رجل ناصع بياض الوجه ، رمادي الشعر ، برتدى ملابسه السوداء باناقة بالغة ، ويوضع على عينيه نظارة ذات اطار فرنسي . وعلى جانبها الايسر جلس رجل صغير الجسم ، خفيف

.

الظل ، اصلع الرأس ، لا يكاد يثير انتباه احد .

ومرت لحظات من العرج ، ولكن الدوقة ، الدوقة الاصلية ، بدأت

:

المجوم بقولها وهي تتقدم لتجلس الى الطاولة الخشبية :

- يا لها من عاصفة نلجمية رهيبة ! لا شك انها فاجأتم مثلنا . ولكن

كورسيكا على اي حال جزيرة جميلة ، لقد وصلت اليها امس .
ونهض الرجل الانيق الطويل في احترام ، وجلست الدوقة في
مقعده شاكرة ، بينما قالت السيدة ذات الشعر البلابيني :
ـ اننا هنا منذ اسبوع !

وكتم ساترويت انفاسه دهشة حين سمع السيدة وهي تنطق هذه
العبارة البسيطة . لقد كان في نبرات صوتها ، وفي طريقة القائهما ، ما
جعل الكلمات تنبض بالحياة ، وبالسحر ، وبالجاذبية ، وكانما هي لا
تتحدث بلسانها فلبها وانما من صميم فلبه .
واسرع ساترويت يقول للقاضي الهندي المستر نوملينسون :
ـ ان الرجل الانيق ذا النظارة مخرج . كما تعلم . اسمه المستر
فایز .

ـ ماذا يخرج ؟
ـ مسرحيات .

وفجأة قالت نوامي كارلتون سميث بصوت حاد عنيف :
ـ ان الجو هنا خائق ، سأخرج الى الهواء الطلق رغم البرد
والصقيع .

ولكن المستر كوين اعترض طريقها عند الباب وقال لها بهدوء وحزن :
ـ عودي الى مكانك واجبسي .

وفوجئ المستر ساترويت بالفتاة تستكين للامر ، ثم تجلس الى
طرف الطاولة ، في معزل عن الاخرين

ـ وتقدم الى المخرج ، وجلس امامه وقال :
ـ لعلك لا تذكرني يا مستر فایز . ان اسمي ساترويت .
ـ فمد المستر فایز وصافح ساترويت بقوة وقال :
ـ طبعا طبعا يا عزيزى . من كان يظن اننا سنلتقي هنا ؟ لا شك انك
تعرف المس نان !

ـ ودهش ساترويت . المس نان ! الممثلة الفديرية المعروفة ؟ لا عجب
اذن ان تكون رائعة الصوت ، بارعة الالقاء . اليست روزينا نان اشهر
ممثلة في انجلترا ؟

ـ وعد المستر فایز يقول وهو يقدم الرجل الآخر الجالس على سارها :
ـ المستر جود ، زوج المس نان .
ـ وكانت روزينا نان قد تزوجت كثيرا . ولا شك ان هذا المستر جود

هو الزوج الاخير .

وكان الزوج مهتما بتقديم الطعام الى زوجته في عنابة وشفف . ذلك ان المعروف ان المسنان من اللواتي يشففن بالطعام ، وفي هذا الشأن قال فايز :

ـ انها تهيم باللون الطعام . بل انها تعيش فقط لتأكل . انتي في احيان كثيرة اذكر لها لونا محببا من الطعام قبيل قيامها بدور معين ، فاذا هي تقوم بالدور كاروع ما تكون .

وسمع الرجل المسنان وهي تقول لزوجها :

ـ ولكن اين الكافيار ؟ انتي لم ابره منذ دخلتنا هنا .

ـ انتك توشكين على الجلوس فوقه . فانه وبراءك على المقد !
فتتناولته بسرعة في ابتهاج وهي تقول :

ـ اووه . انتك تعرفين يا عزيزتي انتي كثير النسيان والشروع . انتي قلما اعرف اين وضعت اشيائي !

ـ نعم . كما وضعت ذات يوم مجموعة لالتك في كيس اسفنجية الحمام . وما اكثر البرقيات والمكالمات التليفونية التي تبادلتها مع الفندق حتى استرددناها .

فقالت المسنان بصوت حالم :

ـ على كل حال كانت هذه الالائل مؤمنا عليها . ولكن جوهرتي الاوبيال الزمردية لم اؤمن عليها للأسف .

وفجأة احس المستر ساترويت انه ، مرة اخرى ، يعيش في احدى مسرحيات الحياة ، وانه ، مع المستر كوبن ، يقومان بدورهما فيها . ومن ثم شعر ان كلمة « الاوبيال » هي مفتاح دوره ، فانحنى الى الامام وقال :

ـ جوهرتك الاوبيال يا مسن نان ؟

ـ هل اعددت الزيد يا هنري ؟ او .. نعم . جوهرتي الاوبيال . لقد سرقت مني كما تعلم . ولم استردها بعد .

ـ اووه . حدثينا بهذا الموضوع يا مسن نان .

ـ او .. نعم . لقد ولدت في شهر اكتوبر ، ولهذا فان من الفال الحسن ان اتزرين بجوهر الاوبيال . ومن ثم اشتريت جوهرة مفرطحة على شكل القلب من اندر الانواع واصفاتها . ولشد ما كانت بهجتي حين استطعت ان اظفر بها بعد الصبر الطويل .

وتنبهدت في عمق ، وكان الجميع ينصتون اليها مبهورين بالقائهما

وجمال نبرات صوتها . وبعد برهة من الصمت ، اردفت بقول :
— وسرق هذه الجوهرة النادرة مني شاب يدعى جميرارد ، كان
يكتب الروايات السرخية .
فقال المستر فاير :
— وهي روايات جيدة فعلا . وقد كدت ان اخرج احداها قبل
الحادث .

وقالت المس نان :
— نعم . كان فيها دور رائع لي . وكان اسمها « اولاد راشيل » .
وقد جاء الى غرفتي بالمسرح ليتبادل معي الحديث بشأنها . وكان شابا
لطيفا خجولا وسليم الوجه ، في عينيه نظرات شاردة تنم على روح شاعرية
وخيال واسع . مسكون . وكانت الجوهرة موضوعة في علمتها على
منضدة الريشة . وكان هو خبيرا في هذا النوع من الجوواهير ، لانه سافر
ذات يوم الى استراليا . ومن ثم تناولها وفحصها في الضوء ، ويبدو انه
نسي نفسه ووضعها في جيبه . ولما انصرف ولم اجدها ، ابلغت رجال
البوليس ، وكان لهذا الحادث ضجة كبيرة في مختلف الصحف . حتى ان
المستر فاير قال ان هذا الحادث كان اوسع دعاية مجانية حدثت لي !
وقال فاير :

— نعم . نعم . كانت دعاية رائعة .

— ووجدت علبة الجوهرة فارغة في مسكنه ، وثبت انه كان يعاني
ازمة مالية عنيفة ، ومع ذلك فقد ثبت ايضا انه وضع لحسابه في البنك
مبلغا كبيرا وقد زعم انه لا بد قد وضع العلبة في جيبه سهوا ، وان
صديقا لعب على جواد رابع لحسابه ووضع الارباح في رصيده بالبنك .
ولكنه لم يستطع ان يذكر اسم هذا الصديق ، او ان يدللي بمحل اقامته .
وهكذا صدر الحكم عليه بالسجن خمسة اعوام ، امضى منها الان ثماني
أشهر .

وبعد ان ساد الصمت ببرهة وجيزة ، قالت المس نان فجأة :

— اين علبة الخوخ المحفوظ يا هنري ؟

فقال زوجها هنري جود :

— انها في حقيبة حاجاتك .

وتناولت المثلة الكبيرة حقيبة حاجياتها وراحت تفرغ ما فيها من
اللوان وأصناف حتى عثرت على علبة الخوخ المحفوظة . وكان بين الاشياء

التي افرغتها من الحقيبة على الطاولة صندوق هندي مسحور ، قالت عنه حينما تناوله القاضي الهندى المستر توملينسون وراح يفحصه :

ـ هذا صندوق من النوع المسحور . من اين جئت به يا مس نان ؟

ـ هدية من احد العجبنى ! وانا اضعه دائمًا على منضدة الزينة في

غرفتي بالمسرح رغم انه ليس رائع الشكل .

فضحك المستر توملينسون وقال :

ـ ربما لا يكون جميلا ، ولكنني اراهن انك لا تعرفين سره . هل تحبين ان اطلعك على طريقة السرية ؟

وقال الجميع :

ـ نعم . نعم . تريدين ان ترى .

وكان للصندوق في اعلاه مفتاحان صغيران كائنان حلبيان . فضغط المستر توملينسون على احد المفاتيحين ، فانفتح الصندوق ، ثم طلب من احد الحاضرين ان يضع قطعة جبن من النوع المخالف فيه . ثم اغلق الصندوق ، وضغط على المفتاح الآخر ، ثم عاد وفتح الصندوق ، وادا قطعة الجبن تختفى .

وسرت هممة الدهشة من الجميع ، ولكن المستر توملينسون اطلق الصندوق مرة اخرى ، ثم جعله في وضع مقلوب ، وضغط على مفتاح اخر جانبي يشبه حلقة منقوشة ، ثم اعاده الى وضعه الصحيح وفتحه . وشهق الجميع .

لقد رأوا مع قطعة الجبن ، جوهرة من حجر الاوبال الازرق مفرطة على هبة القلب . وصاحت المس نان في دهشة :

ـ جوهرتى الفالية . يا الي ! يا للهول !

وتنحنح زوجها هنري وقال بصوت مضطرب :

ـ لا شك انك وضعتها في الصندوق السحري سهوا ، وضفت على المفتاح الثاني فاختفت دون ان تعلمي .

ـ نعم . نعم . لا شك في هذا . ولكن المهم ان الشاب اليك جيرارد

لم يسرقاها ، اي انه مسجون الان ظلما .

وهنا نهضت نوامي كارلتون سميث ، وقالت بصوت شاحب :

ـ اتعرفين من يكون اليك جيرارد بالنسبة لي ؟ انه خطيبى ، وحبي ، وقلبى ، وقد كدت من فرط اليأس ان انتحر اكثر من مرة .

قالت هذا واندفعت الى خارج الكوخ باكية ، فلحق بها المستر كوبن

والستر ساترويت ، وكانت العاصفة الثلجية قد هدأت ، وانقطع سقوط
ندف الجليد .

وقال المستر كوبن وهو ينظر الى السماء الصافية :

ـ حسنا . اعتقد انه ينبغي لي ان اصرف الان !

فنظرت نوامي في دهشة اليه وقالت :

ـ ولكن . ماذا عن خطيبي جيرارد ؟

ـ لا شك انه سيطلق سراحه بالتلفراف اليوم و ..

ـ وماذا ؟

ـ ولا شك ان المسنان سترى كيف تعوضه ادبها وماديا .

ولما تحرك بعيدا ، قال المستر ساترويت :

ـ الى اين هو ذاهب ؟

فقالت نوامي بصوت غريب :

ـ من حيث جاء على ما اظن !

ـ ولكن ليس هناك طريق مفتوح . لقد قلت بنفسك اننا في اخر
الدنيا .

وهزت نوامي كتفيها ، فقال لها ساترويت :

ـ والآن . هل ستسمحين لي بالرکوب معك في رحلة العودة ؟

ـ وهذا ، ولأول مرة ، اشترق وجهها سرورا وابتهاجا وقالت :

ـ طبعا ، طبعا . فانا الان واثقة بأننا سنصل الى الفندق بلا احداث
مفاجئة في الطريق .

الفصل الثامن

ذات الوعاء الفضي

سار المستر ساترويت متمهلاً في شارع بوند ستريت ، مستمتعاً بضوء الشمس ، في طريقه الى معرض هالركستر للصور الفنية ، حيث كان الرسام العقري الجديد فرانك بريستو يعرض اول مجموعة من لوحاته الفنية .
وفيما هو يدخل الى ردهة المعرض ، حياه احد المشرفين على المعرض قائلاً :

ـ طاب صباحك يا مستر ساترويت، لقد كنا نتوقع حضورك يوماً بعد اخر ، ولا شك انك ستعجب بهذا الفنان الجديد اشد الاعجاب .
ومضى المستر ساترويت الى قاعة المعرض الواسعة المستطيلة التي

علقت اللوحات المعروضة على جدرانها الاربعة ، وراح في اعجاب واضح يتأمل اللمسات الفنية الاصلية البدائية في خطوط كل لوحة على انفراد . وتوقف ببرهة امام لوحة تمثل جسر وستمنستر بما عليه من مارة وسيارات خاصة وعامة ، ومركبات مختلفة الانواع ، وكان الفنان قد اطلق على هذه اللوحة اسم « مستعمرة النمل » . ثم تحرك الى اللوحات الاخرى حتى توقف امام لوحة جعلته يتسمى في مكانه وهو يجذب نفسها عميقا .

وكانت اللوحة تسمى « وفاة المهرج » وكانت ارضيتها ، او الجزء الامامي منها ، تمثل ارضية شرفة كبيرة ذات بلاط من اللونين الابيض والاسود ، وفي وسطها رقدت جثة مهرج ميت في ملابسه الحمراء والسوداء ، وقد مد ذراعيه على جانبيه ، وفي الجزء الخلفي من اللوحة ، جدار جانبي للشرفة الكبيرة ، فيه نافذة زجاجية ، ومن وراء النافذة بدا وجه ينظر يهدوء الى « المهرج الميت » .

وأعجب ما في الصورة ان التشابه كان واضحا بين الوجه الذي كان ينظر من وراء النافذة وبين وجه « المهرج الميت » وكانت اراد الفنان ان يرمز لروح الميت حين ترقب الجسد بعد انفصالها عنه .

ولكن الشيء الذي اثار انفعالات المستر ساتروويت ، هو انه عرف ، او خيل اليه انه عرف « وجه المهرج الميت » . لانه كان يشبه الى حد كبير وجه صاحبه ذلك الرجل الخفي ، المستر كوين ، الذي كان يظهر في حياته ويختفي في اوقات معينة .

وقال لنفسه متعجبًا :

ـ انتي لست مخطئا بالتأكيد ! فما معنى هذا ؟
ذلك ان تجرب المستر ساتروويت اكدت له ان كل مرة يرى فيها المستر كوين ، لا بد وان يكون وراء ظهوره سبب معين .
وكان ثمة شيء اخر قد اثار اهتمامه باللوحة ، ذلك انه عرف المكان الذي صوره الفنان بريشته ، ومن ثم عاد يقول لنفسه :

ـ انها الشرفة الكبيرة في قصر اللورد شارنلي .. عجبا ! عجبا !
وبعد ان شاهد جميع اللوحات المعروضة ، ذهب الى مدير المعرض ، المستر كوب ، وقال له بعد ان تبادل التحية معه :

ـ بودي ان اشتري اللوحة رقم ٣٩ ، اذا لم يكن احد قد سبقني الى شرائها !

فقال المستر كوب بعد ان راجع دفتره :

ـ اوه ، لقد عرفت كيف تختر يا مستر ساترويت . كل ام يشتريها احد ، انها فعلا تحفة ، واعتقد انك بعد عام ستتجدد من يعرض عليك ثلاثة اضعاف ثمنها .

ـ هذا ما تقوله لي دائما يا مستر كوب ، اليس كذلك ؟

فابتسم الرجل وقال :

ـ وهل ترانى خدمتك ذات مرت ؟ الم يصدق حديسي دائما ؟

ـ نعم ، نعم ، اعترف بهذا . حستا . ساكتب لك الان صكا بثمن اللوحة .

ـ انك لن تندم على هذا ، فان بريستو فنان سيخلد التاريخ باسمه !

ـ اهو لا يزال في مرحلة الشباب ؟

ـ انه في السادسة او السابعة والعشرين من عمره .

ـ اني ارغب في مقابلته ، ولعله يقبل دعوتي له بتناول العشاء معى الليلة .

فأوما المستر كوب برأسه وقال :

ـ ساعطيك عنوانه ، ولا شك انه سيبتهج بهذه الدعوة ، لانك معروف للجميع وكواحد من انصار الفن والفنانين .

فقال المستر ساترويت وهو يهم بالانصراف :

ـ انك تمتذخي اكثر مما استحق ..

وقاطعه المستر كوب فجأة قائلا :

ـ ها هو ذا قد حضر ، لسوف اقدمك له فورا .
ونهض عن مكتبه ، وشرع يقدم المستر ساترويت الى الفنان الشاب الوسيم ذي الجسم الكبير والوجه الحالم . وبعد التعارف ، قال المستر ساترويت :

ـ كان لي شرف شراء لوحتك الرائعة « وفاة المهرج » .

فابتسم الفنان الشاب وقال :

ـ اعتقد انك لن تخسر كثيرا من شراء هذه اللوحة . اعتقد انها جيدة وان كان لا ينفي ان اقول هذا .

ـ بل هذه هي الحقيقة يا مستر بريستو ، واني شديد الاعجاب

بлемساتك الفنية ، واني لارجو ان تشرفي بقبولك دعوتي لتناول العشاء
معي الليلة اذا لم تكن مرتبطا بموعد سابق .

- الواقع اني غير مرتبط بموعد الليلة ، ومن ثم يسرني ان اقبل
دعوتك .

- اذن هل انتظرك الساعة الثامنة مساء . هذه بطاقتى وعليها
العنوان .

- اوه .. حسنا ، وشكرا جزيلا .

وقال ساترويت لنفسه وهو ينصرف :

« انه شاب عقري لطيف .. ولكنه كما يبدو خجول لا يعرف قدر
نفسه » .

ووصل فرانك بريستو في الثامنة وخمس دقائق مساء حيث وجده
لدى المستر ساترويت ضيفا اخر ، هو الكلوينيل مونكتون . ومضى الثلاثة
فورا الى مائدة العشاء حيث كان ثمة مقعد رابع خال قال عنه المستر
ساترويت :

انني انتظر حضور صديق لي يدعى المستر كوين .. هارلي كوين ،
هل تعرفه يا مستر بريستو ؟

فاضطرم وجه الفنان الشاب وقال مرتباها :

- الواقع انه هو الذي اوحى الي بفكرة لوحة « وفاة المهرج » وكان
طبعيا ان يأتي الشبه مماثلا بينه وبين وجه المهرج .
وكان الكلوينيل مونكتون يتأمل الفنان الشاب كأنه « نوع جديد من
الاسماك النادرة » ، هذا بينما كان المستر ساترويت يقول :
- الواقع ان هذا الشبه هو الذي حفزني على شراء اللوحة ، كما
انني اعرف المكان الذي صورته فيه ، أنها الشرفة الكبيرة في قصر اللورد
شارتنلي ، اليس كذلك ؟

فلما اومأ الفنان برأسه ، استطرد ساترويت يقول :

- لقد نزلت في ضيافة اللورد شارتنلي بضع مرات قبل مأساته ،
ولمك تعرف بعض افراد اسرته .

فقطب بريستو جبينه وقال :

- يؤسفني اني لم اعرف احدا في هذه الاسرة ، ولكن المستر كوين
هو الذي اقترح علي رسم هذه الصورة هناك .

وبعد لحظات من حديث عادي ، قال المستر ساترويت :

ـ أن قصر شارنلي من القصور التي تستهوي الناس لزياراتها . وقد زرتها مرة واحدة بعد المأساة .

وقال بريستو :

ـ نعم . انه نصر تاريجي يحيط به جو من الفوضى والاسرار .

وقال الكلوينيل مونكتون :

ـ يقال ان فيه شبحين لا شبيحا واحدا . شبح الملك تشارلس الاول يجب انجاعه وهو يحمل راسه تحت ذراعه ، ولا ادرى لماذا ! وشبح السيدة ذات الوعاء الفضي التي يقال انها ترى دائمًا بعد وفاة احد افراد اسرة شارنلي .

وغمغم بريستو متهكمًا :

ـ خرافات !

وقال المستر ساترويت بسرعة :

ـ انها اسرة سيئة الطالع . فقد ماتت اربعة من حاملي اللقب ميتة شنيعة . واخيراً مات اللورد شارنلي منتحرًا .

وقال الكلوينيل في اسى :

ـ كانت مأساة مؤلمة ، وكانت هناك عندما وقعت .

وقال ساترويت :

ـ آه ، نعم ، كم مضى عليها الان ؟ نحو اربعة عشر عاما . ولا يزال القصر مهجوراً منذ ذلك الحين .

وقال الكلوينيل :

ـ انتي لا اعجب لهذا ، فلا شك ان المأساة كانت صدمة قاسية على عروس اللورد الشابة التي لم تكن تجاوزت السابعة عشرة ، والتي لم يكن قد مضى على زواجهما باللورد اكثر من شهر ، وكان اللورد شارنلي قد عاد معها بعد شهر العسل ، واقام حفلة تذكرية راقصة احتفالاً بهذه المناسبة ، وبينما كان المدعوون يتواجدون ، اذا باللورد الشاب يدخل الى الغرفة المسماة « قاعة السنديان » ويغلقها على نفسه ، ثم ينتحر . وكان الحادث شذا لا يكاد يصدقه احد .. آه ، ماذا تقول ؟

والتفت بسرعة نحو اليسار ، ثم نظر الى المستر ساترويت ، ثم ضحك وهو يقول معتذراً :

— يبدو ان ذكرى المأساة اثرت على اعصابي ، فقد خيل الي اني سمعت شخصا يحدثني من هذا المقدد الحالى !
واستطرد في حديثه الاول قائلا :

— كانت الصدمة عنيفة على عروس الورد ، اليس شارنلي ، وكانت يومذاك من اجمل الفتيات الالئي يمكن ان يراهن الانسان في اي مكان .
كانت من النوع المعتلى بحب الحياة ، وبالرغبة في الارتواء منها . ولكنها الان تعيش كالشبح . اتنى لم ارها منذ اعوام ، واعتقد انها تعيش خارج البلاد معظم الوقت .
— والابن ؟

— انه في كلية ايتون . ولا يدرى احد ماذا سيفعل حين يبلغ سن الرشد ، اتنى لا اعتقاد على كل حال انه سيعيد فتح ابواب القصر .
وهنا نهض المستر ساترويت وقال :

— هل الى غرفة التدخين ، فان لدى مجموعة من الصور الفوتوغرافية لقصر شارنلي واحب ان اطلعكم عليها .
وكان من بين هوايات ساترويت هواية تصوير منازل وقصور اصدقائه من الداخل . وقد الف في هذا الموضوع كتابا سماه « بيوت اصدقائي » وقد ابتهج اصدقاؤه بهذا الكتاب وراحوا يتفاخرون باقتناه .
وقال وهو يسلم بربستو احدى الصور :

— هذه صورة الشرفة الكبيرة ، وقد التققطها في العام الماضي من نفس الزاوية التي رسمت منها صورتك . اترى هذه السجاده الصغيرة في جانب من الشرفة ، انها سجادة رائعة . كنت اتمنى لو استطعت ان التققطها بشرط ملون .
قال بربستو :

— اتنى اذكرها ، انها رائعة اللون حقا ، كأنها قطعة من النار المتشحة ، ولكنني الاحظ ان وضعها على ارضية هذه الشرفة الواسعة لا يتلاءم مع الذوق السليم ، لانها صغيرة جدا بالنسبة لاتساع الشرفة ، حتى بدت كأنها بقعة ضخمة من الدماء على الارضية ذات اللونين الايض والسود . بل قد خل الي ان وضع هذه السجاده النارية في ذلك المكان بوحي بقسوة المأساة التي حدثت في « قاعة السنديان » المؤدية اليها .

وقال الكلوينيل :

ـ قاعة السنديان ! آه ؛ نعم . انها القاعة المسكونة بالشبح . ويقال ان بين الواح جدرانها لoha بالقرب من المدفأة ينفي وراءه مخبأ سريا ، كما يقال ان تشارلس الاول لجا الى هذا المخبا السري ذات مرة . ويقولون ابضا ان اثنين ماتا فيها اثناء المبارزة بالسدسات . نعم ان ربيحي شارنلي انتحر في هذه القاعة نفسها .

نم تناول الصورة من يد بريستو واردف قائلا وهو يتاملها :

ـ عجبا ، انها السجادة العجمية الحمراء الرائعة التي قيل انها تساوي اكثر من ثلاثة آلاف جنيه . وعندما كنت هناك ، قبيل الحفلة ، لاحظت انها كانت موجودة في قاعة السنديان ، وهي فعلاً مناسبة لهذه القاعة . ولا ادري من نقلها من القاعة الى هذه الشرفة الواسعة ذات الارضية الرخامية !

ونظر المستر ساترويت الى المهد الخالي الذي كان قد وضعه الى جانب مقعده ، ثم قال في شرود ذهن :

ـ نعم ؛ من نقلها ، ومتى ؟

فقال الكلوينيل :

ـ اعتتقد انها نقلت من الشرفة الى نفس يوم المأساة ، لاني اذكر ان شارنلي حدثني عنها وهى لا تزال في الشرفة ، وقال انه يفكر في الاحتفاظ بها داخل خزانة زجاجية جيدة التهوية .

وقال ساترويت :

ـ لقد اغلقت ابواب القصر بعد المأساة مباشرة ، وقد بقى كل شيء في مكانه منذ ذلك الحين .

ووجاهة قال بريستو متسائلا :

ـ ماذا اطلق اللورد شارنلي الرصاص على نفسه ؟

فتململ الكلوينيل مونكتون في مقعده وقال :

ـ لا احد يعرف السبب .

وهنا قال المستر ساترويت :

ـ ابني اظن ان الامر انتحار !

فنظر الكلوينيل اليه مندهشا وقال :

ـ تظنه انتحارا ؟ عجبا ! انه انتحار طبعا يا عزيزي . لقد كنت

موجداً في القصر عندما وقعت المأساة .
ونظر ساترويت إلى المقدمي وابتسم لنفسه وكأنما يضحك من
فكاهة خاصة لا يعرفها أحد ، ثم قال :
— إن الإنسان أحياناً يرى بوضوح بعض الجوانب التي كانت غامضة
إذا مرت عليها أعوام كثيرة .
فقال الكلونيل معتبراً :
— هراء ! هراء تام . كيف يستطيع الإنسان أن يرى بوضوح أشياء
كانت غامضة بعد مرور أعوام كثيرة ؟
وايد المستر بريستو رأى المستر ساترويت بقوله :
— ابني ادرك ما تعنيه . ويمكنني القول إنك على حق . فالمسألة
تعلق بما نسميه التوازن أو حسن التقدير إذا شئت ، أو التناسب
والنسبة وما إلى هذا .
فقال الكلونيل وهو يتلفت حوله بعنف :
— إذا سألتني عن رأيي ، فأنا لا أؤمن بهذه النظريات الغامضة ، ولا
بما يقال عن تحضير الأرواح أو ظهور الأشباح . والهمم أن ما حدث كان
انتحاراً . لقد شاهدت الحادث بنفسى على وجه التقريب .
فقال ساترويت :
— حدثنا به أذن حتى نراه بعينيك .
فغمض الكلونيل بكلمات غامضة ، ثم اعتدل في مقعده وابتدا الحديث
 قائلاً :
— كان الحادث كله شادعاً غير متوقع . فقد كان شارنلي في حالته
العادية ، وكانت الحفلة تضم عدداً كبيراً من المدعى عليهم ، ولم يكن أحد يتوقع
ابداً أن يمضي اللورد الشاب شارنلي ويطلق الرصاص على نفسه أثناء
تواجد المدعى عليهم على القصر .
فقال ساترويت :
— كان من حسن الدوق على الأقل أن ينتظر انصراف المدعى عليهم
الحفلة ثم ينتحر إذا أراد !
— طبعاً ! من فساد الدوق أن يفعل إنسان شيئاً كهذا أياً كانت
الظروف .
— ولم يكن اللورد شارنلي معروفاً بفساد الدوق ؟

— نعم ، بل كان على النقيض ، كان رجلا سليم الذوق مهذب السلوك
الى ابعد حد .

— ومع ذلك فانت لا تزال مصرأ على ان الحادث انتحار ؟!

— طبعا ، طبعا ! لفدينا ثلاثة او اربعه على رأس السلم داخل القصر ،
انا ، والانسة استراندر ، والجي وارسي ، وواحد او اثنان آخران .
واجتاز شارنلي الردهة الواقعه تحتنا في طريقه الى « قاعة السنديان » .
وتقول الانسة استراندر ان وجهه كان شاحبا مكتئبا ، وان اليأس كان
يطل من عينيه ، ولكن هذا كله لغو فارغ ، لانه لم يكن في مقدور احدنا ان
برى وجهه من مكاننا المرتفع . وكل ما في الامر انه كان يسير حقا محني
القامه . كانوا يحمل على عاتقه هموم الدنيا . ونادت عليه فتاة من
المدعوات ، وكانت وصيفة سيدة من سيدات المجتمع ، وكانت الليدي
شارنلي قد دعتها مع سيدتها بداعف من المطف ، وكانت هذه الفتاة تبحث
عنها لتبلغه رسالة سقوفية ، فلما رأته في الطريق الى « قاعة السنديان »
نادت عليه قائلة « لورد شارنلي .. ان الليدي شارنلي تريد ان تعرف .. »
ولكنه لم يحفل بها ، ودخل الغرفة ، وصفق الباب وراءه ، وسمعنا
صريح المفتح وهو ينلق الباب على نفسه من الداخل ، ثم اذا نحن ، بعد
لحظة ، نسمع دوي الطلاقة النارية . واندفعنا الى الردهة ، وكان ثمة باب
آخر « لقاعة السنديان » يؤدي الى الشرفة الكبيرة . ولكننا وجدنا هذا
الباب مغلقا ايضا من الداخل ، فاضطررنا الى نحطمه . وهناك ، على
ارضية القاعة ، وجدنا اللورد شارنلي جثة هامدة والسدس بالقرب من
يده اليمنى . فكيف يمكن ان يكون الحادث شيئا غير الانتحار ؟ ان هناك
احتمالا اخر فقط ، وهو جريمة القتل ! ولكن هل هناك جريمة فتل بغير
قاتل ؟

فقال ساترويت :

— ربما هرب القاتل ؟

— هذا هو المستحيل . لأن قاعة السنديان ليس لها غير بابين فقط ،

باب يؤدي الى الردهة ، وهو الذي دخل منه اللورد شارنلي واغلقه من الداخل على بسمع منا . وباب يؤدي الى الشرفة الكبيرة ، وقد وجدها مغلقا ايضا من الداخل بالرتابج والمفتاح .

— والنافذة ؟

— كانت مغلقة تماما من الداخل ايضا .

وبعد برهة من الصمت قال الكلوينيل :

— هذه هي المسألة كلها !

فقال سانرويت :

— انها كذلك كما تبدو للجميع . ولكن ..

وماد الكلوينيل يقول :

— وبمناسبة الحديث عن الاشباح ، يمكنني ان اقول ان الشائعات تدور حول قاعة السنديان هذه ، ويقال انها مسكونة بالاشباح ، وان على جدرانها الخشنة كثيرا من الثقوب الناشئة من رصاص المبارزات ، وان كثيرا من المبارزين ماتوا فيها ، وان دماء بعضهم تأبى ان تزول من الارضية رغم تغيير الاخشاب بغيرها . ولا شك ان هناك الان بقعة دماء اخرى ، هي دماء المسكين شارنلي .

فقال المستر سانرويت :

— هل نرفت منه دماء كثيرة ؟

— لا ، قليلة ، وقد عجب الطبيب لهذا .

— وain اطلق الرصاص على نفسه ؟ على رأسه ؟

— لا ، بل على قلبه .

فقال بريستو :

— ليست هذه هي الطريقة السهلة للانتحار . فان اطلاق الرصاص على القلب يسبب آلاما شديدة ، وقد يجعل المتأخر ينعدم قبل ان يلتفط انفاسه ، وذلك يعكس اطلاق الرصاص على الرأس الذي يؤدي الى الموت في الحال .

وقال سانرويت :

— بمناسبة ما يقال عن اشباح القصر ، هل رأيت يا كلونيل ما يؤيد هذه الشائعات ؟

فقال الكلونيل بلهجة تأكيد :

— لا . ولكنني اظن ان جميع خدم القصر يؤكدون انهم رأوا شبح السيدة ذات الوعاء الغضي .

تم اردد قائلا :

— وانا ارجو الان يا سانرويت ان تكون قد تأكيدت ان الامر انتحار .

— نعم ، نعم . ولكن هذا لا يمنع الاسنان من التفكير في سلوك هذا التصرف . فلماذا مثلا ينتحر شاب موفور الشراء ، رفيع المقام ، حديث العهد بالزواج ، في نفس الليلة التي يحتفل فيها بعودته مع عروسه الى قصره بعد شهر العسل ؟

وقطب جبينه واردف قائلا :

— ولكن مع هذا مات او انتحر ، وتلك هى الحقيقة التي لا مفر من

الاعتراف بها .

وقال الكلوينيل :

— لقد ترددت شائعات كثيرة ، كل انواع الشائعات ، طبعا .

— ولكن الحقيقة لم يعرفها احد بعد !

— نعم .

واعجب من هذا ان احدا لم يستفند من وقوع هذا الحادث !

— نعم . فيما عدا الجنين الذي كانت تحمله العروس وهي لا تدري .

ثم ارسل ضحكة تهكمية واردفه قائلا :

— الواقع ان مولد هذا الطفل جاء ضربة قاضية لامال المسكين هييجو شارنلي تسيق اللورد شارنلي المتوفى . فبمجرد ان ثبت ان عروس اللورد حامل ، راح ينتظر تمنية شهور ليرى هل سيأتي المولود ذكرا ام انثى ، فلو انه جاء انثى ، اورث هييجو لقب اخيه وتروته كلها ، ولكن شاء القدر ان يأتي المولود ذكرا ، وان تضيع آمال هييجو ومن معه .

— وماذا كان موقف الارملة الشابة ؟

— يا للمسكينة ! انى لم انس منظرها . انها لم تبك او تنهار ، وإنما بدت كأنها تجمدت واصبحت كتمثال بلا روح . وقد اغفلت ابواب القصر بعد المأساة كما عرف الجميع ، واكبر الظن انها لن تعود للحياة في جوانبه يوما !

وابتسם بريستو قائلا :

— لا شك ان وراء هذه المسألة امرأة في حياة اللورد شارنلي ، او رجلا

في حياة ارملته .

فقال ساترويت :

— هذا ما يبدو .

وقال الكلونيل :

— ولكن المرجح جدا انها امرأة في حياة اللورد ، لأن الاومنلة لم تتزوج بعده .

وهنا قال بريستو بحماس :

— ايا كان الامر ، فاني اكره النساء بوجه عام ، انهن السبب في كل مأساة من هذا النوع ، وامترن انى لم التق في حياتي بامرأة اثارت الي واسرت عواطفني الا مرة واحدة ، وقد التقيت بها مصادفة في انساء عودتي من رحلة في شمال انجلترا .

فقال ساترويت :

— نعم ، نعم . ان اكثر قصص الغرام بدأت بمثل هذا اللقاء في القطارات .

— جلسنا في مقصورة واحدة بمفردنا ، وبدانا نتحدث معا منذ اللحظة الاولى ، واعتقد ان شيئا من العواطف المتبادلة ربطت بيننا منذ اللحظة الاولى ايضا ، وانا لا اعرف اسمها ، بل لا اظن انني سالتقى بها مرة اخرى . واعتقد ان الشيء الذي اثار عواطفني نحوها ، ذلك الطابع الروحي العجيب الذي كان ينلها ، لقد بذلت لي كأنها امرأة خرجت من صفحات احدى الاساطير .

واما ساترويت برأسه وهو يدرك ان فنانا مثل بريستو لا بد ان يتاثر بامرأة من هذا النوع ، اما بريستو ، فقد استطرد قائلا :

— ويبدو لي ان السر في هذه الروحانية التي تميزت بها انها اصيبيت في مستهل شبابها بصدمة رهيبة جعلتها تحاول الفرار من دنيا الواقع الى عالم الخيال .

— وهل ذكرت لك شيئاً من ماساتها ؟

— لا ، ولكنني استنتجت هذا . فان على الانسان ان يلجا الى الاستنتاج احياناً لكي يصل الى الحقيقة اذا اراد .

فقال ساترويت ببطء وبلهجة لها دلالتها :

— نعم . ان على الانسان ان يلجا الى الاستنتاج احياناً .

وفي تلك اللحظة فتح الخادم الباب وقال له :

— ان سيدة تزيد مقابلتك يا سيدي لامر هام . انها المس اساسياً جلين .

ونهض ساترويت بسرعة مندهشاً . لقد كان يعرف من هي اساسيا جلين . انها ممثلة مشهورة في احياء لندن ، وقد اطلق عليها النقاد اسم « السيدة ذات التدليل » لأنها بรعت في تمثيل ادوار كثيرة بمنديل واحد ، اذ جعلته مرة غطاء للرأس في دور ريفية . ومرة « كاب » ممرضة ، ورابعة مطرف بائعة لبن وعشرات اخرى من هذه الادوار .

ولكنه لم يكن يعرفها شخصياً ، فلماذا تزيد ان تقابله ؟

ومضى اليها حيث كانت جالسة في غرفة الاستقبال في وضع مشير ينم على شدة اعتدادها بنفسها وقوه ثقتها في جمالها ، وعمق تأثير شخصيتها في الفن . وكانت طويلة خمرية اللون في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، ولكن جمالها المذهل جعلها تبدو اصغر من هذا السن .

قالت له بصوتها الجذاب :

ـ انتي اعتذر لك عن هذه الزيارة المفاجئة يا مستر ساترويت ،
ولولا ان الامر لا يحتمل التأخير ، لطلبت تحديد موعد من قبل .

ثم اردفت قائلة :

ـ والواقع انتي كنت اريد ان اتعرف بك منذ مدة طويلة ، ومن نم
فاني مبتهجة بهذه الظروف التي دفعتنى للحضور . والواقع انى اذا اردت
شيئا ، فاني احب الحصول عليه فورا ، لاني لا اطيق الانتظار .

فقال ساترويت :

ـ ايا كان السبب الذي دفعك الى الحضور ، فاني سعيد به يا مس
جلين ، واني انتهز هذه الفرصة لاعرب لك عن اعجابي الشديد بموهبك .

فنظرت اليه باسمة ، وقالت بعد ان شكرته :

ـ اما عن سبب حضوري فهو لوحة « وفاة المهرج » . لقد شاهدتها
اليوم في معرض هاركستر ، ولما اردت شراءها بأي ثمن ، قال لي المدير
انك سبقتني الى شرائها ...

ثم توقفت برها عن الحديث قبل ان تردف قائلة :

ـ والواقع انى اريد هذه اللوحة ، وبأى ثمن يا مستر ساترويت ،
وقد احضرت معي دفتر الشيكات ، وسوف اترك لك تحديد الثمن الذي
تربيده .

ونظر ساترويت برها الى الممثلة وهو يشعر في قراره نفسه بنفور
شديد من اساليبها المكشوفة للحصول على ما تريده . انها لم تصل في
نظرة امرأة جميلة او ممثلة قديرة ، وانما مخلوقية انانية مصممة على ان

نظر بكل ما تهفو اليه نفسها . ولهذا قرر الا يتنازل لها عن هذه اللوحة ، بأي تمن ا ايضا ؛ وراح يفكر بسرعة في انساب عذر يقدمه اليها وهو يرفض نحفيق رجائها ، فقال :

— انتي واثق انه لا يوجد الانسان الذي يرفض ان يحقق لك رجاء ، ايا كان يا مس اسباسيا جلين .

— اذن فسوف تعطيني اللوحة ؟

فهز ساترويت راسه وقال بحزن مصطنع :

— يؤسفني الفول ان هذا مستحيل ، لاني اشتريت هذه اللوحة لكي اهديها لسيدة ..

— اوه ، ولكن .. بالتأكيد يمكنك ..

وهنا صلصل جرس التلفون بعنف ، فتناول ساترويت السماع ، واذا سيدة تقول له :

— هل استطيع التحدث مع المستر ساترويت ؟

— نعم يا سيدتي ، انتي هو ..

— انتي الليدي شارنلي .. أليس شارنلي ، ولست ادرى هل تتذكرني يا مستر ساترويت بعد كل هذه السنوات ؟

— اوه ، كيف يمكن ان انساك يا عزيزتي أليس ؟ اهذا معقول ؟

— سكردا يا مستر ساترويت . والآن اريد ان اتحدث معك بشأن ..

لوحة «وفاة المهرج» التي اشتريتهااليوم من معرض هاركستر . اتنى في حاجة الى هذه اللوحة يا مستر ساترويت لاسباب خاصة ، فهل اطبع في ان تتنازل لي عنها ؟

ورأى المستر ساترويت انه تلقى نجدة من السماء في الوقت المناسب ، وكان يعرف ان اسباسيا جلين تسمع حديثه طبعا ، ولكنها لا تسمع حديث الطرف الآخر ، ومن ثم قال مطمئنا :

ـ يسعدني جدا ان تقبلها كهدية ، ولكنني ارجو فقط ان تأتي الى منزلي الان ، فهل اطبع ان تتحقق لي هذا الرجاء ؟

ـ اوه ، طبعا ! ان هذا اقل ما يجب ازاء كرمك . لسوف آتي فورا .

ـ ولما وضعت السماع ، قالت اسباسيا جلين بغضب :

ـ أكان هذا الحديث عن اللوحة ؟

ـ نعم ، ولسوف تأتي السيدة بعد لحظات قصيرة .

فأشرق وجه الممثلة وقالت فجأة :

ـ لا شك انك طلبت حضورها فورا لتتيح لي فرصة اقناعها بالتنازل عنها لي .

ـ نعم . يمكنك ان تقنعها اذا شئت . والان ، هل تسمعين بالانتقال معى الى الغرفة الاولى ، فان لدى بعض الاصدقاء الذين احب ان اقدمك اليهم ؟

ـ وفتح لها باب غرفة التدخين ، ثم قال وهو يقدمها :

- المس جلين .. دعىني اقدم لك صديقي القديم الكلوينيل مونكتون
وصديقي الجديد الفنان المستر بريستو ..

ثم توقف عن الحديث فجأة حين رأى المستر كوين جالسا في المعد
الذي كان يحتجزه حاليا ، ثم اذا هو يتسم ويستطرد قائلا :

- وصديقي المستر هارلي .. كوين ..

وقال المستر كوين :

- لقد قدمت نفسي لهدين السيدين أثناء غيابك عن الفرفة
يا ساترويت ..

وكان ساترويت قد لاحظ ان المس اسباسيا جلين قد جذبت نفسها
طويلا وتراجعت خطوة عندما نطق باسم صديقه المستر كوين . ولكنها لم
تبث ان تمالكت نفسها بعد لحظات ، ثم التفتت الى الفنان بريستو
وقالت له :

- ما الذي جعلك ترسم هذه الصورة باللذات ؟

فهز بريستو كتفيه ثم قال وهو يختلس النظر الى المستر كوين :

- انتي لا ادرى على وجه التحديد . انه قصر مثير للخيال ، كما ان
الشائعات كثيرة عن أشباحه وغرفه « المسكونة » وعلى كل حال اذكر ان
صديقا او حبيبي برسم هذه الصورة بعد ان حدثني بعまさة اللورد
شارتنى ..

وفي تلك اللحظة ، فتح الخادم الباب واعلن وصول الليدي شارتنى ..

واسرع ساترويت لاستقبالها ، وكانت قد بلغت الثلاثين من عمرها
او اكثر قليلا ، وقد تذكرها وهي فتاة في ميعه الصبا ، ممتثلة حياة

وابتساما ، وقد أصبحت الان كالطيف الذي يتحرك في خفة وروحانية مع الاحتفاظ بكل مقومات جمالها .

وقال لها ساترويت :

ـ شكرًا لحضورك يا ليدي شارنلي .

ثم ساد معها في الغرفة . وبدا عليها انها تعرف الممثلة المس جلين ، فوهمت بأن تقدم يدها اليها ، ولكن الممثلة ظلت ثابتة في مكانها ، فقالت الليدي شارنلي معتذرة :

ـ أوه ، اني آسفة ، فقد خطر لي اني رأيتك من قبل .

فقال المستر ساترويت :

ـ ربما على خشبة المسرح .. فهذه المس اساسيا جلين .

وهنا قالت المس جلين بصوت ادهش ساترويت لما فيه من تلوين مسرحي عجيب :

ـ اني سعيدة جدا بلقائك يا ليدي شارنلي .

ولما قدم بريستو اليها ، قالت وهي تبسم :

ـ لقد التقيت بالمستر بريستو مرة .. في القطار .

وبعد ان عرفها بالمستر كوين الذي قالت عنه انها تذكر ان زوجها الراحل قد ذكر اسمه مرة او مرتين اثناء حديثه مع اصدقائه ، جلس المستر ساترويت وتحمّل ، ثم قال وهو ينظر الى المستر كوين بين لحظة واخرى :

— انتا الان نجتمع على غير اتفاق سابق بسبب لوحة « وفاة المهرج »
واعتقد ان في مقدورنا الان ان نعرف الحقائق التي كانت غامضة .

فقال الكلوينيل :

— ما هذا يا مستر ساترويت ؟ هل تنوی ان تعقد جلسة روحية ؟

— لا ، ولكن صديقي المستر كوين يعتقد ، وانا اتفق معه ، على انتا
نستطيع باعمادة النظر الى احداث الماضي ان نعرف الحقائق كما هي ،
وليس كما كانت تبدو في حينها .

فقالت الليدي شارنلي :

— الماضي ؟

— انتي اعني مأساة زوجك يا اليس ، وامرفد ان هذا الحديث قد
يؤلمك ...

— لا ، انه لا يؤلمني ، ولم يعد ثمة ما يؤلمني الان !

ونظر ساترويت برهة الى الليدي شارنلي وقد بدت في رقبة الطيف
او الشيش ، ثم قال فجأة :

— انك يا عزيزتي تذكريني « بالسيدة ذات الوماء الفضي » التي
يقال ...

طق ! وسقط فنجان التهوة من يد الممثلة اسباسيا جلين على الارض
متحططا ، بينما استطرد ساترويت يقول :

— انتا تقترب .. تقترب جدا ، ولكن من اي شيء . لقد قتل اللورد
شارنلي نفسه ، فلماذا ؟ ان احدا لا يعرف ا

فتململت الليدي شارنلي في مقعدها ، ثم اذا بالفنان بريستو يقول
فجأة :

— ان الليدي شارنلي تعرف السبب .

ونظرت الليدي طويلا الى الفنان ، فاوسمـا لها برأسه كائنا يشجعها
على الحديث ، واخيرا قالت بهدوء :

— نعم ؛ انتي اعرف السبب ، وهذا ما يجعلني ارفض العودة للإقامة
في القصر .

— هل يمكن ان تخبرينا به ؟

— نعم . لقد عرفت السبب حين عثرت على خطاب بين اوراقه .
وقد احرقته .

— وماذا قرات في هذا الخطاب ؟

— كان خطابا من فتاة ، فتاة فقيرة كانت تعمل مربية اطفال عند اسرة
ميريام . وقد فهمت انه كان بينها وبينه علاقة حب انتهت بان حملت
منه ، وقد ظلت هذه العلاقة قائمة بينهما حتى اثناء خطبتي له . وقالت
في خطابها انها ستخبرني انا بالحقيقة قبل ان ترفع الامر الى القضاء ،
ولهذا اسرع وقتل نفسه .

وهنا قال الكلونيل مونكتون :

— اذن فقد وضح الامر وعرف السبب الحقيقي لانتهاره !

وهنا قال ساترويت :

— ولكننا لم نعرف السبب الذي من اجله رسم المister بريستو

الصورة . ولكن يمكن ان نستنتج انه ، بخياله وروحانيته ، استطاع ان يرمي للمسافة بالجسد الملقى في الشرفة الكبيرة ، وبالروح التي تراقب الجسد من وراء النافذة المطلة عليها .

فقال الكلوينيل :

— ولكن الجسد لم يكن في الشرفة ، وإنما كان في قاعة السنديان كما رأينا .

— ربما كان الجسد في الشرفة اولا ، ثم حمله شخص ما الى قاعة السنديان !

فبدت الدهشة على الكلوينيل وقال :

— اذن كيف رأينا بأعيننا اللورد شارنلي وهو يدخل غرفة السنديان سائرًا ؟

— حسنا ؟ هل رأيت وجهه ؟ هل انت واثق انه اللورد شارنلي حقا ؟ ما المانع من ان يكون الذي دخل غرفة السنديان شخصا اخر يرتدي نفس العباء التي كان يرتديها اللورد في الحفلة التئكيرية ؟ وما اكد لكم انه هو اللورد شارنلي ، نداء الفتاة عليه لتبلغه رسالة شفوية !

فقال الكلوينيل متهمكا :

— واذا كان الذي دخل قاعة السنديان شخص غير اللورد شارنلي ، فما ذهب او اختفى وقد كانت الغرفة مغلقة الابواب والتواجد من الداخل ؟

— لم تقل ان بها مخبأ سريا في الجدار ؟

ثم رفع يده ليمنع الكلوينيل من مقاطعته واردف قائلا :

— لقد أصبح الامر واضحا الان . فلنفرض ان شخصا ما قتل اللورد شارنلي في الشرفة الكبيرة ، ثم تعاون مع شخص اخر وسحب الجثة الى قاعة السنديان حيث وضع المسدس بجانب اليد اليمنى . ولكن يبدو الامر انتحارا ، دخل ذلك الشخص الى قاعة السنديان عن طريق الودهة وهو في عباءة اللورد شارنلي حتى يظنه من يراه انه اللورد . وكان قد اتفق مع شخصية ما لكي تناول عليه باسم اللورد شارنلي حتى تجعل الدين يرونه من اعلى يتأكدون انه هو فعلا اللورد شارنلي ، وبعد ان دخل واغلق الباب من الداخل بالفتح ، اطلق رصاصة في الجدار ، وبطبيعة الحال لم يلحظ احد الثقب الذي احدثته بجانب التقويب الكثيرة الموجودة ، تم اختبا في المخاب السري . وكان طبعيا بعد ذلك ان يظن الجميع ان اللورد انتحر ، لانه لم يكن هناك ما يدعو الى الشك في اي احتمال آخر .

وقال الكلوينيل :

— ابني لا زلت اؤمن بأنه انتحر فعلا ، وأدلل على ذلك هو الخطاب الذي عثرت عليه اليدي شارنلي في اوراقه بعد ذلك .

— ان هذا الخطاب مدسوس بين اوراقه عن قصد ، وقد كتبته ممثلة صغيرة بارعة كانت تأمل يوما ان تكون هي اليدي شارنلي بعد وفاة اللورد !

— ماذا تعني ؟

— ابني اعني الفتاة التي اشتهرت مع القاتل في تدبير الجريمة . والقاتل ليس غير هيجو ، شقيق اللورد ريجي شارنلي . ولكننا نعرف ان هيجو كان العضو الفاسد في اسرة شارنلي . وكان يأمل ان يرث اللقب والاملاك بعد مقتل اخيه . وقد اشرك معه في تدبير الجريمة وتنفيذ الخطة عشيقة له !

ثم استدار المستر ساترويت نحو اليدي شارنلي وقال :

— ما اسم الفتاة التي كتبت ذلك الخطاب ؟

— مونيكا فورد .

وهنا قال ساترويت للكلونيل :

— هل كانت مونيكا فورد هي التي نادت على اللورد شارنلي اثناء ذهابه الى قاعة السنديان يا كلونيل ؟

— نعم . انتي اذكر هذا على وجه اليقين !

ولكن الليدي شارنلي اعترضت قائلة :

— ان هذا مستحيل . لقد قابلت مونيكا فورد بعد عشورى على الخطاب ، واكتدت لي ان علاقتها بريجى شارنلي كانت حقيقة . وليس من العقول ان تبلغ فتاة مثلها هذه الدرجة من البراعة في التمثيل !

وعندئذ نظر ساترويت الى الممثلة اسبياسيا جلين وقال بهذه :

— اعتقد ان ذلك كان في مقدورها ، لانها ولدت ممثلة بطبيعتها .

وقال بريستو :

— ولكن هناك نقطة واحدة لا تزال غامضة . اذ كيف استطاع القاتل ان يزيل الدماء بسرعة من ارضية الشرفة التي حدثت فيها الجريمة ؟

فابتسم ساترويت وقال :

— انه لم يكن هناك الوقت الكافي لازالة الدماء طبعا ، ولهذا نقل السجادة العجمية من قاعة السنديان ووضعها فوق بقوع الدماء في الشرفة . وهذه العملية لا تستغرق اكثر من دقيقة .

— هذا معقول جدا . ولكن كان لا بد من ازالة آثار الدماء بعد ذلك على كل حال .

— طبعا ، طبعا ، ان شريكة القاتل انتهت فرصة الاشاعة الدائرة حول شبح السيدة ذات الوعاء الغضي ، فتسليت ليلا في ملابس بيضاء وهي تحمل وعاء فضيا من الماء لتزيل آثار الدماء ، وكانت مطمئنة الى ان الذي قد يراها ، سيفر هاربا منها .

ثم ابتسم ساترويت واردف قائلا للممثلة اسباسيا جلين :

— اعتقاد ان هذا هو سبب سقوط فنجان القهوة منك حين ذكرنا شبح السيدة ذات الوعاء الغضي . اليك كذلك ؟ واعتقد انك شعرت بالخوف حين رأيت صورة « وفاة المهرج » وقد خطر لك ان شخصا ما قد راك مع القاتل اثناء ارتكاب الجريمة .

وهنا صاحت الليدي شارنلي وهي تحدق النظر في وجه الممثلة :

— انك انت مونيكا فورد . اليك كذلك ؟

ووثبت مونيكا فورد — او اسباسيا جلين — ودفعت ساترويت بعيدا عنها ثم وقفت امام المستر كوين ترتعد وتقول :

— كنت انا على حق اذن حين شعرت يومذاك ان هناك من يراقبنا . لقد كنت انت هناك ، ترانا من وراء النافذة المطلة على الشرفة . لقد رأيت ما فعلنا ، انا وهيجو ، ولما رفعت وجهي الى النافذة خيل الي اني رأيت لحنة من وجه انسان يراقبنا ثم يختفي وهذا ما جعلني اعيش في رعب طيلة هذه السنوات . ولما رأيت الصورة وانت فيها واقف وراء النافذة تعرفت عليك . ولكن ، ما الذي جعلك ، تلزم الصمت كل هذه الاعوام ؟

فقال كوين بهدوء :

— ربما لكي يستريح الموتى في قبورهم .

وفجأة اندفعت اسباسيا نحو الباب وفتحته ثم قالت في تحد :

— افعلوا ما شئتم بي ، فقد احبيت هيجو حب الجنون ، وساعدته على تنفيذ خطته التي لم تصل بنا الى النتيجة المرجوة . وقد مات هو محسورا في النهاية ، اما انا ، فاني اجيد التمثيل والتنكر كما قال ذلك الرجل العجوز ، ولن يستطيع رجال البوليس في العالم ان يقتفوا اثري . ولسوف ارحل عن البلاد في خلال اسبوع .. وداعا .

ووقفت الباب وراءها ، ثم لم يلبث الجميع ان سمعوا باب المنزل الخارجي وهو ينصفق ايضا .

وهتفت الليدي شارنلي والدموع تنحدر من عينيها :

— يا زوجي العزيز المظلوم . لقد مشت حياتي كلها وانا احقد عليك بسبب ذلك الخطاب المزيف . اما الان ، فارجو ان تنام في قبرك بسلام . ولسوف اعود الى القصر واشيع فيه نبضات الحياة من جديد .

ثم نهضت وتقدمت نحو ساترويت وقبلت وجنتيه وهي تقول :

— شكرا لك يا ماستر ساترويت .. شكرا . لقد اعدتني الى الحياة مرة اخرى بعد ان كنت اعيش نصف ميئنة .

نم صافحت الفنان بريستو بحرارة وقالت له وهي تبتسم في عينيه :

— دعني اهنيك على عبقريتك ، وارجو ان اراك في اقرب وقت تزورني في قصري . ولعلك تستطيع ان تستلهم منه لوحات اخرى .

ولما انصرفت ، قال ساترويت للماستر بريستو :

— ماذا تنتظر ؟

ـ انتظر ماذا ؟

ـ ألم تشعر أنها تبادرك العاطفة ؟

فاضطرم وجه الفنان الشاب ، ثم نهض مرتباً وهو يقول :

ـ أترى هذا حقاً ؟

والتفت ساترويت نحو المستر كوبين ليقول له شيئاً ، ولكن وجده قد رحل فجأة ، كما جاء فجأة ، فهركت فيه وقال :

ـ لا شك أنك حدثت المستر كوبين بلقائك مع هذه السيدة في القطار ، فاوحي لك برسم هذه اللوحة وهو يعرف ما سيترتب عليها من نتائج . انه لا يهمه الحادث نفسه بعد ان انتهى ، ولكن يهمه الاحياء من العشاق . وارى انه نجح ايضاً هذه المرأة في اعادة الحياة الى سيدة لا تزال في رونق الشباب ، والى بعث خفقات الحب في قلبها لفنان شاب اسرع يا صديقي والحق بها ، ولن تندم .

تمت

الفهرست

٥	الفصل الأول : مسiter كوبن
٢٣	الفصل الثاني : شبح النافذة
٤٥	الفصل الثالث : علامة في السماء
٦١	الفصل الرابع : بيت الاسرار
٨١	الفصل الخامس : صوت في الظلام
٩٥	الفصل السادس : الطائر المكسور الجناح
١١٥	الفصل السابع : آخر الدنيا
١٢٩	الفصل الثامن : ذات الوعاء الفضي

بسر «دار الكتب الشعبية» لصاحبيها
 احمد اكرم الطباع . ص.ب ٣٨٧٤ - بيروت
 شارع سوريا بناية درويش

بان تقدم للفارىء العربي الكريم الكتب التالية بأسعار شعبية

اسم الكتاب	المؤلف
صديق الشدة	سومرست موم
الساحر الجبار	سومرست موم
كنت جاسوسا	سومرست موم
الوادي الاخضر	جون شتاينبك
قصة مدینتين	شارل دیکنژ
الامال الكبيرة	شارل دیکنژ
أوليفر تویست	شارل دیکنژ
دانفید کوبرفیلد	شارل دیکنژ
احدب نوردام	فیکتور هیجو
جزیرة الاحلام	سومرست موم
اغلال الحب	سومرست موم
ذات الشعر الذهبي	سومرست موم
جريمة في القطار الازرق	احانا کرستي
جريمة فوق السحاب	احانا کرستي
موعد مع الموت	احانا کرستي
جزيرة المهربيں	احانا کرستي
الرجل الغامض	احانا کرستي
مصرع الورد	احانا کرستي

صديق الشدة	سومرست موم
الساحر الجبار	سومرست موم
كنت جاسوسا	سومرست موم
الوادي الاخضر	جون شتاينبك
قصة مدینتين	شارل دیکنژ
الامال الكبيرة	شارل دیکنژ
أوليفر تویست	شارل دیکنژ
دانفید کوبرفیلد	شارل دیکنژ
احدب نوردام	فیکتور هیجو
جزیرة الاحلام	سومرست موم
اغلال الحب	سومرست موم
ذات الشعر الذهبي	سومرست موم
جريمة في القطار الازرق	احانا کرستي
جريمة فوق السحاب	احانا کرستي
موعد مع الموت	احانا کرستي
جزيرة المهربيں	احانا کرستي
الرجل الغامض	احانا کرستي
مصرع الورد	احانا کرستي

اسم الكتاب	المؤلف
ساندريلا	اجاثا كريستي
اللغز العجيب	اجاثا كريستي
كفاхи	هتلر
مرتفعات وذرنج	اميلي برونتي
لقاء على الرمال	سوزان ايرتر
جين إير	شارلوت برونتي
البوباء	فيكتور هيجو
ذهب مع الريح	مارغريت ميشيل
باتعة الخبز	казافيه دي موتايين
الام فارتر	جوطه

هذا الكتاب

- اسي اكره دائها ان تشر زوجتي لورا الى هذا الموسوع
فان هذا البيت ، بعد الحادث ، يسع لرجل اعمال بري ، ولكره
بعد عام بدأ تعان عن بعده ثمن منخفض ، وذكرت الاشئمهات
عن وجود شبح فيه .. شبح صاحبته المتتحر . ولما دفع بي لورا
لنشر شبح نفسي عن دائرة كيديلبي ، اذاطرر ما للبحث عن منزل
 المناسب للافاءة في هذه المنطقة ، واعراني ثمن هـ -ذا المنزل
المخفض ، فاشاريته ، وسواء صدق الشائمات ، عن وجود
الشبح فيه ام لم تصدق ، فان الانسان لا يحب ان يتذكر دائمه
يقيم في منزل انتحر فيه صديقه له . مسكن ديريك كالل . اتنا
لن نعرف ابدا لماذا قتل نفسه ؟!

فقال اليكس بورمال بصوت متقل باطراء :

- انه ليس اول ولا اخر رجل ينتحر بلا سبب معقول .

الشم . . . ٥٠٠ ق. ل. او ما يعادتها بطل ، في المملكة العربية السعودية
من الوكيل العام سعد محمد المندارى
٣٤٢٣ تلفون ٨٢٥٧٥ بـ ، الرياض